

مقدمة

تعد دراسة المقاطع من الدراسات الصوتية الحديثة ، وتعتمد تقسيم الكلام على وحدات صوتية مختلفة تتباين كمياتها بتباين مدة إيقاع النفس الطبيعي مع نظام اللغة ومن ثم تحليل تلك الوحدات على أساس مكوناتها من الحروف (الصوامت) والحركات (المصوتات)^(١) .

ويأتي سبب اختيارنا للموضوع من أن المقاطع الصوتية تمثل الجوهر الأساس في سياق أي نص لغوي وأنها لا بد لها من نظام صوتي دقيق تكفل به الخالق عز وجل وأودعه في قرآنه ، شأنها في ذلك شأن أي باب من أبواب الإعجاز التي توزعت في كتاب الله فمنحته الكمال المطلق في الصياغة والترتيب الذي أعجز أهل اللغة عن الإتيان بمثله .

لذا عقدنا العزم على التحري عن أعداد تلك المقاطع الصوتية المؤلفة لبنى المقطعية للقرآن الكريم لإبراز الوجه الإعجازي فيها وإعطاء صورة واضحة عن المستوى الرفيع في الصياغة العددية لتلك المقاطع والتي لا يمكن أن نجد لها بهذا النظام الحسابي الدقيق في أي نص بشري .

والجديد في البحث أنه جاء مغايراً للدراسات القديمة الخاصة بالإعجاز العددي للقرآن الكريم ، إذ توقفت تلك الدراسات عند حدود الإعجاز العددي لعبارة القرآن الكريم وكلماته وحروفه أما دراستنا فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك حين اختصت بالكشف عن البنى المقطعية المؤلفة لتلك العبارات والكلمات واحتساب عدد المقاطع المؤلفة لها ضمن ظواهر ثلاث هي التدرج والمقابلة والمفاضلة .

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على الجانب الصوتي في القرآن الكريم وإبراز أهميته كونه عنصراً أساسياً في رفق البنى السياقية للنص القرآني وتعزيز دلالاتها من خلال رصد أعداد المقاطع الصوتية المؤلفة لعناصر السياق والكشف عن الظواهر والعلاقات التي تنتظم تلك الأعداد من المقاطع لرفد الدراسات العلمية التي تعنى بالقرآن الكريم وإعجازه العلمي .

وقد جاء تقسيمنا للبحث على مباحث ثلاثة :

اختص الأول بدراسة ظاهرة التدرج لبيان التدرج العددي في القرآن الكريم ، وقد تضمن هذا المبحث دراسة التدرجين العدديين التصاعدي والتنازلي للمقاطع الصوتية المؤلفة لبنى الألفاظ المنتظمة في سياقات دلالية تتدرج صعوداً ونزولاً بحسب طبيعة النص القرآني .

١ ينظر : بنية المقطع في القرآن الكريم - دراسة صوتية دلالية (أطروحة دكتوراه مخطوطة) - د. دريد عبد الجليل الشاروط -

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

ثم اختص المبحث الثاني بدراسة ظاهرة المقابلة العددية من خلال دراسة السياقات التقابلية في النص القرآني والكشف عن أعداد المقاطع الصوتية المؤلفة لبنى الأطراف المتقابلة ودور تلك الأعداد في خدمة النص .

أما المبحث الثالث فقد اختص بدراسة ظاهرة المفاضلة العددية عن طريق رصد السياقات القرآنية التي تتحقق فيها تلك الظاهرة سواء بأفعال التفضيل الموجودة صراحة في النص أو التي تفهم ضمناً من الدلالة السياقية للآية الكريمة .

وقد التزمت الدراسة في تلك المباحث الثلاثة عند التحليل المقطعي بتقديم بنى الأسماء على الأفعال وتقديم بنى الأفعال الماضية على الأفعال المضارعة وأفعال الأمر ، وتقديم بنى المفردات على التراكيب .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تعد الأولى من نوعها في ميدان الكشف عن موضوع الإعجاز العددي لمقاطع القرآن الكريم ، ولم تسبق - على حد علمي - بدراسة ميدانية مماثلة في الشكل أو المنهج أو المضمون .

أسأل الله تعالى أن يكتب لها التوفيق والسداد ، ولصاحبها وقارئها الأجر والثواب ، وأن ينتفع بها طلبة العلم وأنصار القرآن الكريم .

المبحث الأول

التدرج بعدد المقاطع

ترد في القرآن الكريم كثير من السياقات التي ترتقي فيها دلالات الألفاظ أو العبارات من حال إلى حال أو تنحدر من حال إلى حال ، ومع هذا الارتقاء أو الانحدار تتجه البنى المقطعية لتلك الألفاظ والعبارات إلى الزيادة في عدد المقاطع أو النقصان بحسب دلالة النص ، وللقوف على هذه الظاهرة المقطعية قسمنا هذا المبحث على قسمين هما :

١ التدرج التصاعدي :

يظهر التدرج التصاعدي في عدد المقاطع بشكل متساوق مع التدرج التصاعدي الدلالي للنص القرآني الذي تختلف طرق التعبير عنه من آية إلى أخرى ، فمرة نجده يتحقق بالمفردة وأخرى بالتركيب وقد يتحقق التدرج بالمفردات بالاسم مرة وبالفعل مرة أخرى .

فمن التدرج التصاعدي بالأسماء نستمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ (مريم: ٧٧) الذي ابتداءً بالقسم على أيسر الأمرين تحققاً وهو الحصول على المال فقال^(١) لأوتين مالاً ، فجاء أولاً بكلمة (مالاً) ذات المقطعين الطويلين :

/ م . ل . ن /

لكون المال سهل الحصول عليه ويمكن أن يجمع في أقل مدة من الزمن ، فكان في قلة عدد المقاطع هنا دلالة على سهولة الأمر وقصر الزمن في تحقيقه ، في حين عبر عن الأمر الآخر الذي زعم أنه سيحصل عليه - وهو الابن - بلفظة (ولداً) المؤلفة من ثلاثة مقاطع هي :

/ و . ل . د /

فكانت هذه اللفظة بمقاطعها الثلاثة أدل على طول الأمد في التحقق من مسألة الحصول على المال ، وبذلك أعطى التدرج التصاعدي في عدد المقاطع هنا صورة واضحة عن اختلاف طرق الحصول على هذين الأمرين ومدة تحققهما .

١ القول على لسان العاص بن وائل الذي أبي أن يفني بدين عليه لخباب ، حتى يكفر الأخير بمحمد (ﷺ) ، فقال خباب لا أكفر حتى يميتك ثم يبعثك ، قال العاص: دعني حتى أموت ثم أبعث ، فيصير إلي مال وولد فأقضيك ، فنزلت هذه الآية ، ينظر : مسند أبي داود : أبو داود الطيالسي - دار الحديث - بيروت : ص ١٤٢ .

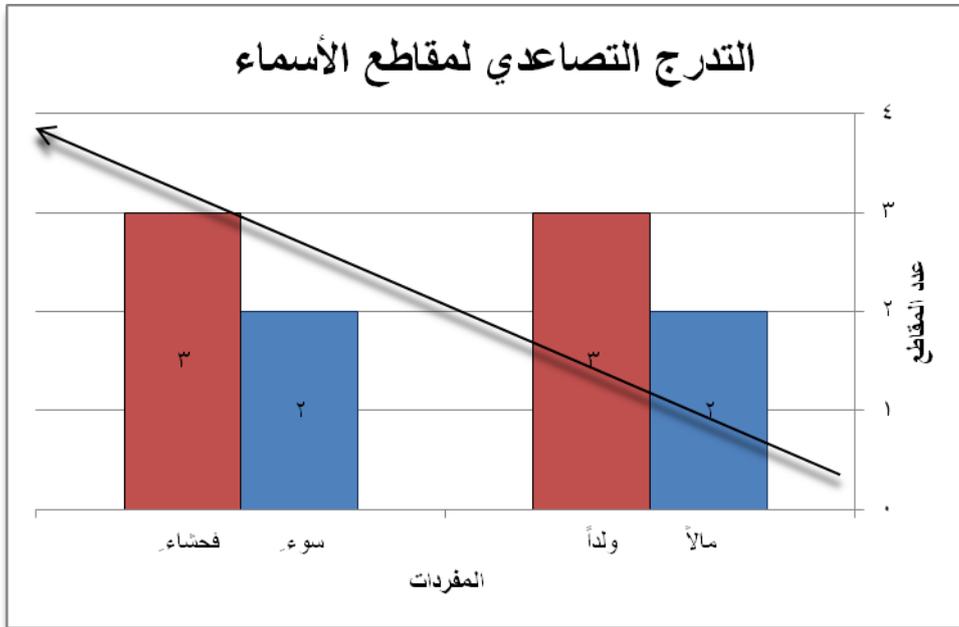
د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٦)
قال الطبري : ((إنما يأمركم بالسوء والفحشاء أما السوء فالمعصية ، وأما الفحشاء فالزنا))^(١)
وقيل : السوء هو ما يعم القبائح ، والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر^(٢) .
فلما كانت الفحشاء أبعد حداً في القبح من السوء ، فقد تأخر ذكرها في الآية لتدرج الدلالة صعوداً ، وقد رافق ذلك تدرج عدد المقاطع صعوداً ، فكانت (سوء) مؤلفة من مقطعين :

س / ء / ـ

في حين كانت كلمة (فحشاء) مؤلفة من ثلاثة مقاطع :

ف / ح / ش / ء / ـ



الشكل رقم (١)

وقد يكون التدرج بأكثر من اسمين في النص كقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٤٥)
، أي أنفقوا من قبل أن يأتي يوم لا يكون فيه بيع أصلاً ، إذ لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بمال لو بذله ، ولا تنفعه خلة أحد يعني أعباءه وأصحابه ، إذ لا خلة يومئذ إلا بين المتقين ، كما

١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : ابن جرير الطبري - دار الفكر - ١٤١٥هـ - تح : د. مصطفى مسلم محمد - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ : ٢ / ١٠٦ .

٢ ينظر : زبدة البيان في أحكام القرآن - المحقق الأردبيلي - تح : محمد باقر الجبوري - المكتبة المرتضوية - إيران - ١٩٦٦م : ٦١٦

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧) ولا شفاعة : أي ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، إذ قد لا يأذن الرحمن لكم بالشفاعة ولم تكونوا من أهلها ، أو لا يشفع لكم أحد^(١) .

ولو تتبعنا السياق الدلالي لتلك الأسباب لوجدنا أن الآية الكريمة تدرجت صعوداً بالإشارة إلى نفي النفع عما هو في حيز الإنسان من شيء يملكه وهو المال ، ثم أشارت من بعد ذلك نفي منفعة الأحياء الذين كانوا سنداً له في حياته ، ثم تختتم الآية بنفي منفعة الشفعاء الذين لا تربطهم به رابطة سوى تعاطفهم مع حاله .

وبالعودة إلى تحليل البنى المقطعية لهذه الأسباب نجد أن عدد مقاطعها تدرج صعوداً بشكل متساوق مع التدرج الدلالي التصاعدي لتلك الأسباب ، فكان الابتداء بلفظة (بيع) المؤلفة من المقطعين الطويلين المغلقين :

/ب.ي/ع.ن/

الذين مثلاً نقطة الشروع في التدرج التصاعدي لعدد المقاطع ، ثم جيء بلفظة (خلة) المؤلفة من ثلاثة مقاطع هي :

/خ.ل/ل.ت.ن/

ثم أعقب ذلك مجيء لفظة (شفاعة) المؤلفة من أربعة مقاطع هي :

/ش.ف.ع.ت.ن/

ليكون عدد مقاطع الألفاظ المؤلفة لتلك الأسباب متضافراً صوتياً مع الدلالة السياقية للآية الكريمة المتدرجة صعوداً في التعبير عن مستويات المنفعة .

ومثل هذا يرد في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعَدَّةً﴾ (الأحقاف: ٢٦) ، فعلى الرغم من أن المراد من السمع الجمع^(٢) ، إلا أنه جاء بصيغة المفرد ، ويظهر التدرج التصاعدي الدلالي في الآية من خلال الترتيب في المدارك الحسية ثم الارتقاء إلى المدارك العقلية للإنسان كون حاسة السمع عند الإنسان تبدأ مبكرة في أداء عملها بعد ولادته وهي تسبق حاسة البصر في العمل بحوالي ثلاثة أشهر ((ومن روعة الإعجاز العلمي في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه يذكر الفؤاد بعد السمع والبصر لمعنى علمي دقيق أيضاً وهو أن اكتساب العلم يحصل بعد الانتقال من مرحلة الإدراك الحسي بالسمع والبصر إلى مرحلة الإدراك العقلي ، وهذه هي طريقة تعلم المعارف والخبرات وكلها تجيء بحسب الترتيب الذي ذكره القرآن وهو الإدراك الحسي أولاً ثم الإدراك العقلي ... وهناك حقيقة أخرى في تقديم السمع على البصر وهو أن القرآن يذكر

١ ينظر : تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : أبو الفداء إسماعيل بن كثير - دار المعرفة - بيروت - ١٤١٢ هـ : ١

/ ٣١٢ ، وزيادة البيان في أحكام القرآن : ٢٠٠

٢ ينظر : الميزان في تفسير القرآن (تفسير الميزان) : محمد حسين الطباطبائي - مؤسسة النشر الإسلامي - قم : ١٣٨١/١٨

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

السمع مفرداً ويذكر الأبصار بصيغة الجمع ، وفي ذلك سر من أسرار الإعجاز أيضاً ؛ لأن استقبال الأذن للمسموع لا خيار للإنسان فيه حيث لا حجاب يحجب وصول الصوت إلى طبلة الأذن ، أما العين فللإنسان الخيار في أن يرى أو لا يرى ولها جفون تساعد على ذلك ((⁽¹⁾) ، ويقف التدرج التصاعدي لعدد المقاطع في بني الألفاظ الثلاثة للآية الكريمة متضافراً مع التدرج الدلالي المشار إليه ليمنح النص القرآني انسجاماً صوتياً يتناسب وطبيعة سياقه الدلالي ، فكلمة (سمعاً) جاءت بصيغة الإفراد ، فكانت مؤلفة من مقطعين طويلين مغلقين :

/س.م/ع.ن/

ولو جاءت بصيغة الجمع (أسماعاً) لما كان للبنية المقطعية دور يذكر في تعزيز دلالة التدرج التصاعدي في الآية ؛ لأنها مؤلفة من ثلاثة مقاطع :

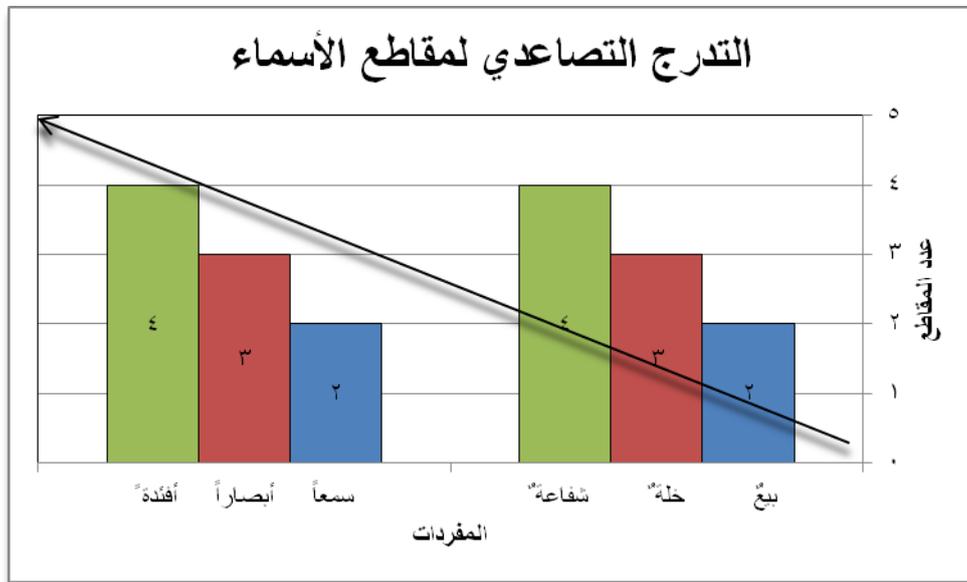
/ء.س/م.ع.ن/

ثم تتدرج بنا الآية إلى المدرك الحسي الثاني المعبر عنه بكلمة (أبصاراً) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :

/ء.ب/ص.ر.ن/

ثم ينتهي التدرج بالمدرك العقلي المعبر عنه بكلمة (أفئدة) المؤلفة من أربعة مقاطع :

/ء.ف/ء.د.ت.ن/



الشكل رقم (٢)

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

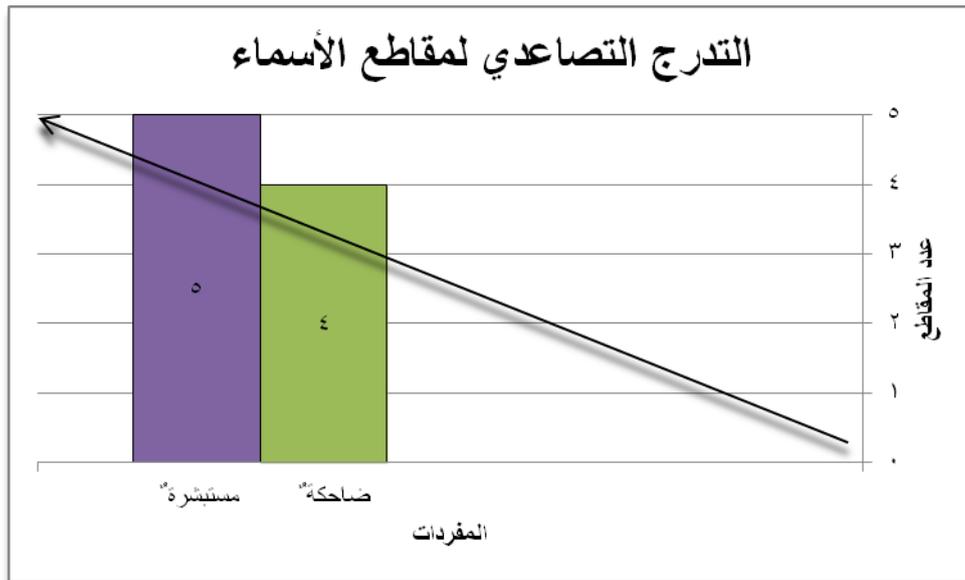
د. دريد الشاروط

ومن التدرج بالوصف نستمتع إلى قوله تعالى: ﴿صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ (عبس: ٣٩) ، الذي قال الطبري في تفسيره : ((صاحكة من السرور بما أعطها الله من النعيم والكرامة ، مستبشرة لما ترجو من الزيادة))^(١) ، وزاد القرطبي على ذلك قوله : ((صاحكة : أي مسرورة فرحة مستبشرة : أي بما آتاها الله من الكرامة))^(٢) ، فالملحوظ أن صفة الضحك ثابتة على وجوه المؤمنين غير أن التهلل والاستبشار متجددان ومتناميان بتنامي النعيم ، ما يعني أن الدلالة الوصفية تدرجت صعوداً من الثبات إلى التحول يرافقتها في ذلك تدرج تصاعدي في عدد مقاطع المفردتين فكلمة (صاحكة) كانت مؤلفة من أربعة مقاطع :

ا/ض . اُح . اِك . اِت . نُن /

أما كلمة (مستبشرة) فتفوقت عليها بمقطع واحد لتجسد صوتياً اتساع مساحة الفرح وزيادته بالشكل الذي يرمي إليه النص ، إذ كانت الكلمة مؤلفة من خمسة مقاطع :

ا/م . سُ / ات . ب / اش . اِر . اِت . نُن /



الشكل رقم (٣)

وقد يتخذ التدرج التصاعدي شكلاً آخر ليتسع بأبعاده وصوره ، فمن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٦﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٧﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٨﴾ وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٩﴾ وَزَرَائِبٌ مُبْتَوِّئَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية : ١٢-١٦) الذي قيل في تفسيره إن تلك الجنة فيها عين من الماء ممتعة في جريانها ليست بواقفة وفيها

١ تفسير الطبري : ٣٠ / ٧٨

٢ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - محمد بن أحمد القرطبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ :

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

سرر تتواضع حتى يجلس عليها صاحبها فترتفع به ليرى بجلوسه عليها جميع ما حوله من الملك وما حوله الله من النعيم ، وفيها أكواب على حافة العين كلما أراد شربها وجدها مملوءة فهي موضوعة للشرب وللمتعة بالنظر إليها ؛ لأنها من الذهب والفضة والجواهر ، وفيها وسائد أعدت للراحة وقد وضعت بشكل متصل على هيئة مجالس الملوك الفاخرة ، وفيها أيضاً بسط وفرش فاخرة⁽¹⁾ .

الملاحظ أن السياق القرآني أخذ بالتدرج صعوداً في وصف معالم الجنة وما تقع عليه عين المؤمن من نعيمها ، إذ ابتداءً بصورة مستقلة للعين الجارية ، ثم انتقل إلى رسم صورتين جمعت بين (السرر) المرفوعة التي يجلس عليها المؤمن ليطل على تلك العين و(الأكواب) التي يشرب بها من معينها ، ثم انتقل إلى رسم صورتين جمعت بين شكل (الوسائد) المصفوفة التي تزين مجلسه مع أهله وأحبائه وشكل (الفرش) الفاخرة التي تزين مخدعه ، وقد تضافر مع هذا التدرج الدلالي تدرج تصاعدي في عدد مقاطع المفردات المعبرة عن ذلك النعيم ظهر في صور ثلاث هي :

١ - صورة العين : تجسدت هذه الصورة بكلمة (عين) المؤلفة من مقطعين طويلين مغلقين :

/ع.ي/ن.ن/

٢ - صورتا الجلوس والشراب : تمثلت الأولى بكلمة (سرر) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :

/س.ر.ر.ن/

وتمثلت الأخرى بكلمة (أكواب) المؤلفة كذلك من ثلاثة مقاطع :

/ء.ك.و.ب.ن/

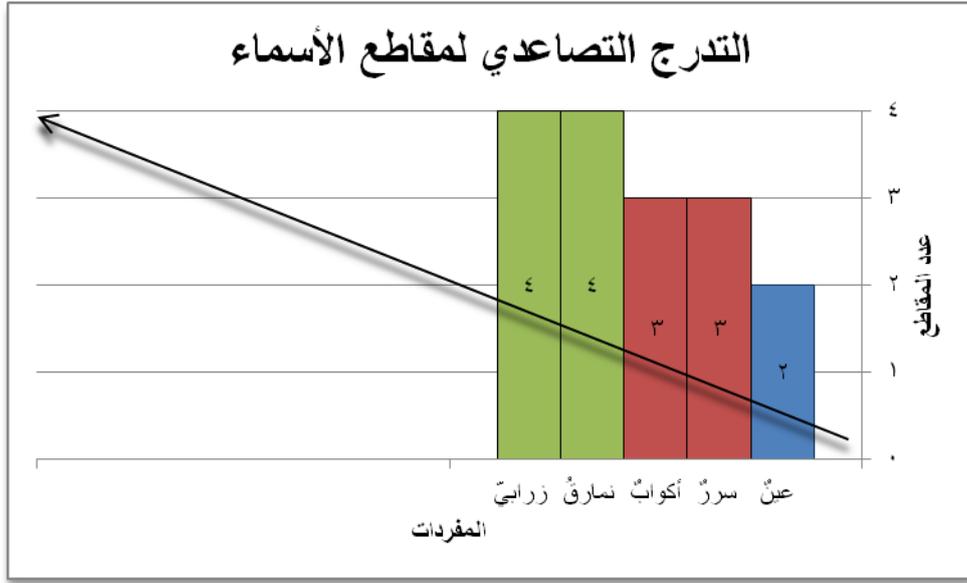
٣ - صورتا الوسائد والفرش تمثلت الأولى بكلمة (نمارق) المؤلفة من أربعة مقاطع :

/ن.م.ر.ق.ن/

وتمثلت الأخرى بكلمة (زرابي) المؤلفة كذلك من أربعة مقاطع :

/ز.ر.ب.ي.ي.ن/

١ ينظر : تفسير الطبري : ٣٠ / ٢٠٤ والبيان في تفسير القرآن - أبو جعفر الطوسي - تح : أحمد العاملي - المطبعة العلمية - النجف - ١٩٦٣ م : ١٠ / ٣٣٦ ، تفسير الميزان : ٢٠ / ٢٧٤



الشكل رقم (٤)

ولا يقتصر التدرج التصاعدي لمفردات القرآن الكريم على الأسماء بل نجد الأمر لا يختلف مع الأفعال ، من ذلك في الأفعال الماضية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (المدثر: ٢٣) الذي نزل في الوليد بن المغيرة ، وقد جاء في تفسيره ((أي: أعرض عن الحق وذهب إلى أهله وتعظم عن أن يؤمن))^(١) فالإدبار عن الشيء هو الإعراض عنه ، وأما الاستكبار فهو الامتناع كبيراً وعتواً^(٢) والمتأمل في الفعلين يجد أن في التعظم والكبر إصراراً وتكلفاً أكبر مما هو في الإعراض ، لذا كان سياق الآية الكريمة يتدرج صعوداً في دلالة الأفعال من أيسرها تحقفاً إلى أعقدها تحصلاً ، وهكذا كان عدد مقاطع الفعلين يتدرج صعوداً مع اتساع رقعة ردة الفعل التي ابتدأت بالفعل (أدبر) المؤلف من ثلاثة مقاطع :

ء . د / ب . ا / ر .

ثم انتقلت إلى الفعل (استكبر) التي تفوق على الفعل السابق بمقطع تشكيلي^(٣) واحد هو / س / فكان مؤلفاً من أربعة مقاطع :

/ س / . ا / ك / ب . ا / ر .

1 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي الشوكاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ١٣٥٠ هـ : ٥ / ٣٢٧ .

٢ ينظر : تفسير الميزان ٢٠ / ٨٧

٣ أصل المقطع الأول من (واستكبر) في التحليل المقطعي لسياق الآية هو / و . س / ولكون تحليلنا المقطعي هنا اعتمد البنية المقطعية للمفردات مجردة من حرف العطف لأنه لا يظهر مع كلا الفعلين ، فقد اطرحنا من التحليل الصامت الأول (و) ومصوته (و) اللذين يمثلان حرف العطف في النص من قوله : (واستكبر) ، لذا ظهر المقطع الأول / س / مؤلفاً من الصامت (س) مسبوق بالمصوت (و) الذي يتوصل به للنطق بالصامت ، وهو مقطع تشكيلي كما يذهب إلى ذلك كل من د. تمام حسان ود. أحمد مختار عمر ينظر : مناهج البحث في اللغة - د. تمام حسان - دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٧٤ م : ١٦٤-١٦٥ ، ودراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر - جامعة الكويت - ١٩٧٦ م : ٢٥٦ .

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

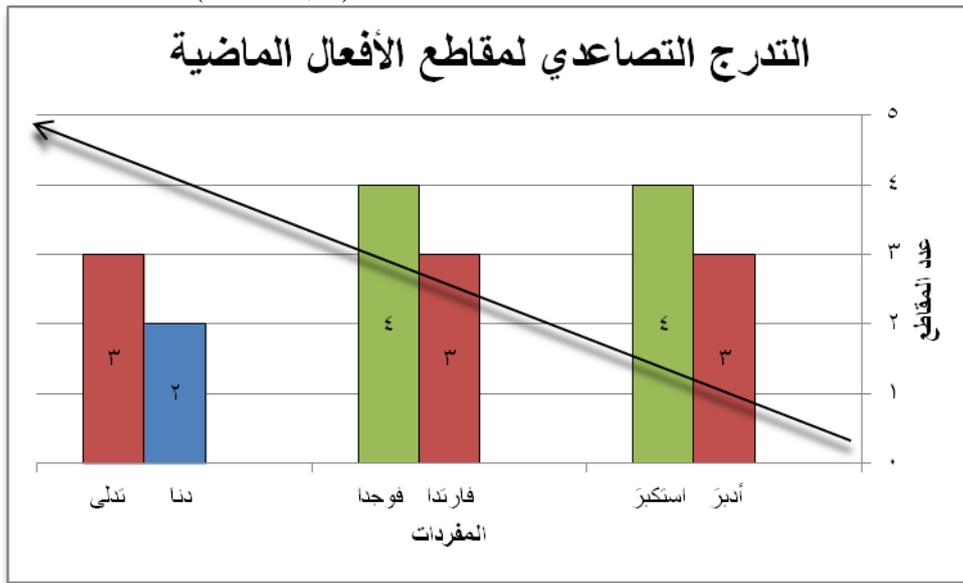
وشبيه بذلك قوله تعالى : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ (الكهف :

٦٤-٦٥) فقوله : (فارتدا) مؤلف من ثلاثة مقاطع : /ف . ر/ت . د/د . /

وقوله : (فوجدا) مؤلف من أربعة مقاطع : /ف . و/ . ج . د/ . /

ولا يخفى أن في الآية تدرج دلالي تصاعدي من حالة التيه والبحث المستمر إلى حالة الإيجاد التي تمثل نقطة الانطلاق في رحلة التعلم الجديدة .

وهناك أمثلة أخرى لهذا التدرج نجدها مثلاً في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (النجم : ٨) .



الشكل رقم (٥)

وقد يكون التدرج التصاعدي بأكثر من فعلين ماضيين من ذلك قوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ (النساء : ١٤٦) الذي قيل إن سبب نزوله هو :

((أن قوما قالوا عند ذكر مستقر المنافقين ، فقد كان فلان وفلان منافقين فتابوا فكيف يفعل بهم

؟ فنزلت هذه الآية ، ومعنى الآية إلا الذين تابوا من النفاق وأصلحوا أعمالهم بعد التوبة

واعتصموا بالله أي استمسكوا بدينه))^(١) ، فسيبيل المنافق للوصول إلى الإيمان يجب أن ينفذ من

خلال ثلاثة أعمال أيسرها الإنابة إلى الله والرجوع إلى جادة الحق بالتوبة التي لا تتم منفعتها إلا

بالعمل على إصلاح النفس وما فسد من أعمالها ، وهو أمر يحتاج إلى الجهد والمثابرة لتغيير

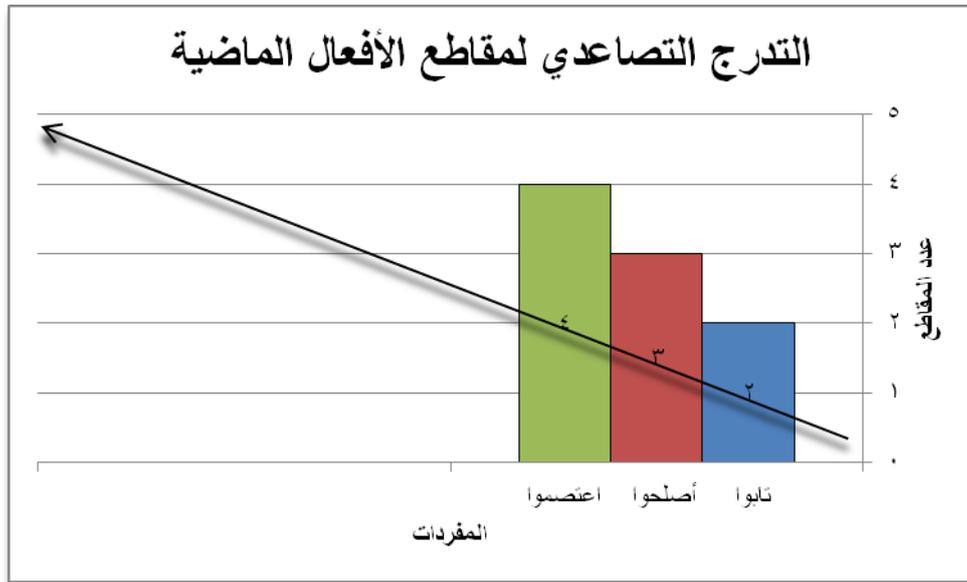
المنهج وعلى الرغم من ذلك الإصلاح فإن المنفعة لا تتم إلا بالحرص على اتباع كتاب الله وسنة

نبيه ﷺ) ما يتطلب جهداً أكبر بكثير مما هو عليه في التوبة والإصلاح لذا كانت البنية المقطعية

١ زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين ابن الجوزي - تح: محمد بن عبد الرحمن عبد الله - دار الفكر - بيروت -

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

للاية الكريمة تتدرج صعوداً في عدد المقاطع من فعل إلى آخر مع تنامي الجهد واتساع دلالة الفعل ، فقد ابتدأت الآية بـ (تابوا) المؤلف من مقطعين طويلين مفتوحين : /ت .أب .أ /
ثم انتقلت إلى (أصلحوا) المؤلف من ثلاثة مقاطع : /ء .ص /أ .ح .أ /
ثم انتهت بـ (اعتصموا) المؤلف من أربعة مقاطع : /ع /أ .ص .أ .م .أ /



الشكل رقم (٦)

ومن التدرج بفعل الأمر نجد قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩) فقد ثبت في الصحيح^(١) عند مسلم أن رسول الله (ﷺ) قال: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء))^(٢) وهذا يقودنا إلى أن الدنو من الله تعالى يتحقق بأمرين أولهما مادي يسير يتمثل بسجود العبد بين يدي ربه ، وهو أمر في متناول الجميع ، والآخر معنوي يتمثل باجتهاد العبد في الخشوع والتذلل والإكثار من التوسل بالدعاء ، وهو أمر مرهون باجتهاد العبد ونيته ، لذا ناسب ذلك أن تكون البنية المقطعية للفعلين متدرجة صعوداً في عدد المقاطع من فعل السجود الأيسر

أداءً وجهداً المؤلف من مقطعين : /و .س /ج .أ .د /

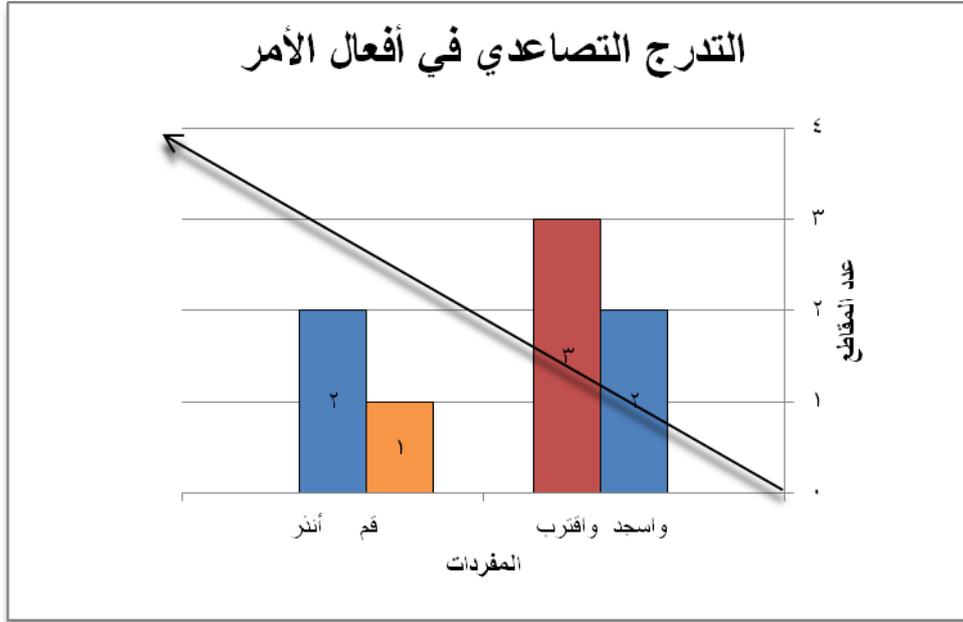
إلى فعل الاقتراب الذي يجهد العبد في تحصيله المؤلف من ثلاثة مقاطع :

/و .ق /أ .ر .ب /

١ ينظر : تفسير ابن كثير : ٤ / ٥٦٦

٢ حديث صحيح ، رواه مسلم عن أبي هريرة (رض) ، صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج - بشرح النووي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٧ م : ٢ / ٤٩ - ٥٠

ومثل هذا التدرج بفعل الأمر يمكن أن نلمحه في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا نَّذِيرًا﴾ (المدثر: ٢) ، وكذلك الحال مع الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ (المدثر: ٦) .



الشكل رقم (٧)

٢ التدرج التنازلي :

ذكرنا في ما سبق من القول أن هناك سياقات قرآنية تنحدر فيها دلالة الألفاظ نزولاً ، ومع هذا الانحدار تتناقص أعداد المقاطع المشكلة لبني تلك الألفاظ ، ويمكن الوقوف على هذا النوع من التدرج من خلال البنى المقطعية للأسماء كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ حِنْفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٨٢) الذي يكاد يجمع المفسرون فيه على أن الجنف : هو الميل عن الحق بالخطأ في الوصية إلى ورثة دون غيرهم ، وأن الإثم : هو تعمد الظلم والحنيف^(١) ، ولا شك أن الخوف في الجنف يكون أكبر لاختلاف الآراء بين من يقر من المقرين بوجود الميل والزلل في الوصية ومن لا يقر به ، وبين تطبيقها كما هي أو إخضاعها للعدل ، أما الوصية بالإثم فلا خلاف في بطلانها ؛ لأنها وضعت في غير شرع الله ، لذا يكون مستوى الخوف فيها أقل ؛ لأن مسألة ردها إلى الحق لا يختلف عليها اثنان ؛ إذ لا بد من إخضاعها إلى الشرع .

١ ينظر : تفسير الطبري ٢ / ١٧٣ ، أحكام القرآن : أبو بكر الرازي الجصاص - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ .

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

من هنا كان التدرج في عدد المقاطع متوافقاً مع التدرج التنازلي لمستوى الخوف في صورتيه ، إذ ابتدأت الآية بكلمة (جنفاً) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :

ج . ن . ف . ن /

ثم تدرجت نزولاً إلى كلمة (إثماً) المؤلفة من مقطعين طويلين مغلقتين :

ء . ث . م . ن /

ومثل هذا التدرج يمكن أن نجد في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (المزمل: ١٧) الذي يقول الشوكاني في تفسيره : ((لشدة هوله أي: يصير الولدان شيوخاً والشيب جمع أشيب ، وهذا يجوز أن يكون حقيقة وأنهم يصيرون كذلك ، أو تمثيلاً لأن من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت أعضاؤه وصار كالشيخ في الضعف وسقوط القوة))^(١) وما يؤكد ذلك الضعف والتقاصر في القوى هو ذلك التدرج التنازلي في عدد المقاطع الذي جاء متساقفاً مع التدرج الدلالي التنازلي للنص الذي ابتدأ بكلمة (ولدان) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :

و . ل . د . ن . ن /

ثم انتقل إلى كلمة (شيباً) أو (شيباً) المؤلفة من مقطعين سواء في الوقف أو الدرج :

ش . ب . ن / أو ش . ب . ن /

وقد يكون عدد المقاطع المتدرجة نزولاً أكثر من ثلاثة كما في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رِيثًا مَأْخُذًا صَحِيحَةً وَلَا وِلْدَانًا﴾ (الجن: ٣) فقد تقدمت صاحبة على الولد لأن الولد لا يكون إلا من صاحبة فاتخاذ صاحبة أسبق من اتخاذ الولد هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن الآية تنص على تنزيه الخالق عز وجل عن الحاجة أو الرغبة ، فوجود صاحبة علة لوجود النقص ، وإنما تكون صاحبة ((للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها))^(٢) ، أما وجود الولد فعلة لوجود الرغبة في الكثرة^(٣) ، لذا تقدم نفي ما يسد الحاجة أو النقص على ما يحقق الرغبة وبهذا كان التدرج الدلالي يتجه بالانحدار من الأهم إلى المهم ، وهكذا كان التدرج في عدد المقاطع ، إذ كانت كلمة (صاحبة) مؤلفة من أربعة مقاطع :

ص . ح . ب . ن . ن /

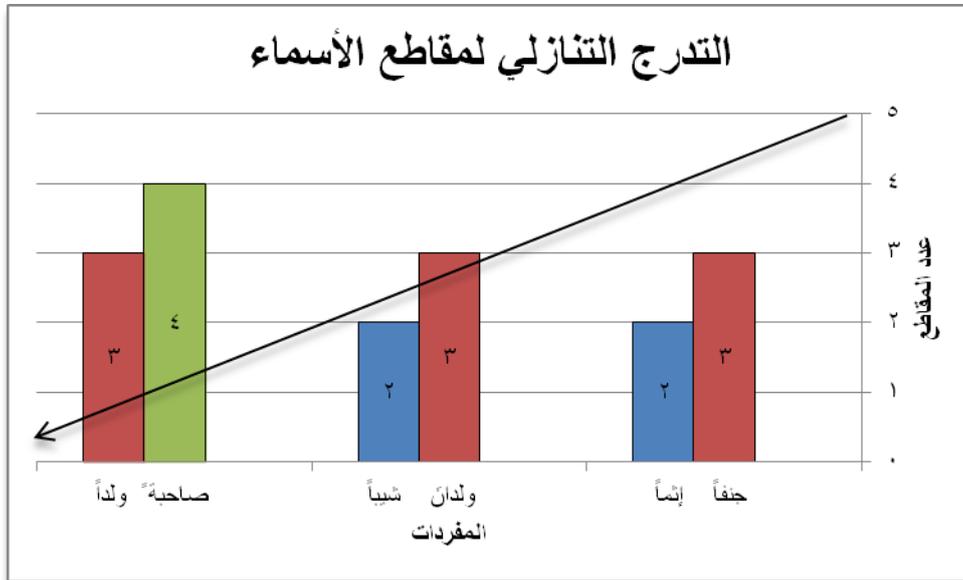
١ فتح القدير : ٥ / ٣١٩

٢ تفسير الطبري : ٢٩ / ١٣١

٣ ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الطبرسي - تح : لجنة من العلماء والمحققين - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤١٥ هـ : ٤ / ١٢٦ ، ١٠ / ٤٩٨

فيما كانت كلمة (ولدا) مؤلفة من ثلاثة مقاطع في الوقف والدرج:

/و.ل.د.ن/ أو /و.ل.د.ن/



الشكل رقم (٨)

ويظهر التدرج التنازلي أيضاً من خلال الأفعال الماضية التي يتضمنها النص القرآني ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى: ٣) ، الذي أنزله الله سبحانه على قلب نبيه المصطفى (ﷺ) رحمة وطمأنينة ، بعد أن احتبس عليه الوحي أياماً حتى قالت قريش للنبي (ﷺ) ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فوددك^(١) ، فأنزل الله تعالى قوله الذي شرع فيه بنفي الحدث الأوسع والأشمل وهو التوديع ؛ لأن التوديع لا يكون إلا عن تارك مفارق لذا يكتفى عن الميت بالموَدَّع^(٢) فقال : (ما ودَّعك) فأتى بالفعل (ودَّع) بالتشديد المؤلف من ثلاثة مقاطع :

/و.د.د.ع./

وعلى قراءة^(٣) (ودَّع) بالتخفيف يكون الفعل -أيضاً- مؤلفاً من ثلاثة مقاطع :

/و.د.ع./

١ ينظر : تفسير الطبري : ٣٠ / ٢٩١ ، أسباب نزول الآيات : أبو الحسن النيسابوري - مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة -

١٣٨٨ هـ : ٣٠١ ، تفسير القرطبي : ٢٠ / ٩٤

٢ ينظر : المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني - تح : محمد سيد كيلاي - مطبعة الباي الحلبي - ١٩٦١ هـ :

٥١٧ .

٣ وهي قراءة عروة بن الزبير وهشام بن عروة وأبي حيوة وأبي بحرية وابن أبي علبه وابن عباس ، ينظر : معجم القراءات القرآنية :

د. عبد العال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر - مطبوعات جامعة الكويت - ط٢ - ١٩٨٨ م : ٨ / ١٨٠

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

ثم انتهى إلى نفي الحدث الأضيق والأيسر بالقياس إلى فكرة التوديع ، فالعقل ((دال على أنه لا يجوز أن يقل الله أحداً من أنبيائه))^(١) ، فقال : (وما قلى) فأتى بالفعل (قلى) المؤلف من مقطعين :

اق.ل. /

وبذلك تدرج بالنفي نزولاً من الحدث الأوسع والأهم إلى الحدث الأضيق ، وهكذا تساوقت عدد مقاطع الفعلين في تدرجها التنازلي مع الدلالة السياقية للآية الكريمة .

ومثل ذلك يرد في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (القيامة: ٣١) ، الذي فسر فيه الفعل (صدّق) بتفسيرين فقيل : ((معناه برسالة الله ودينه ، وذهب قوم إلى أنه من الصدقة))^(٢) ، وفي كلا الحالين ينبغي أن يتأخر الفعل (صلى) ، لأنه إذا أريد بـ (صدّق) الإيمان فهو أمر عقائدي سابق على العبادات ، وإن أريد به الصدقة فهي أسبق إلى طهارة النفس^(٣) ، وأوسع في تحقيق المنفعة الاجتماعية من الصلاة ، لذا تدرجت الآية بالفعلين من الفعل المعنوي ذي الدلالة الأوسع إلى الفعل المادي ذي الدلالة الأضيق ، فابتدأت بنفي الفعل (صدّق) المؤلف من ثلاثة مقاطع :

اص.د.د.ق. /

ثم انتهت إلى نفي الفعل (صلى) المؤلف من مقطعين اثنين :

اص.ل.ل. /

ويصدق مثل هذا التدرج التنازلي في عدد مقاطع الأفعال على قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ

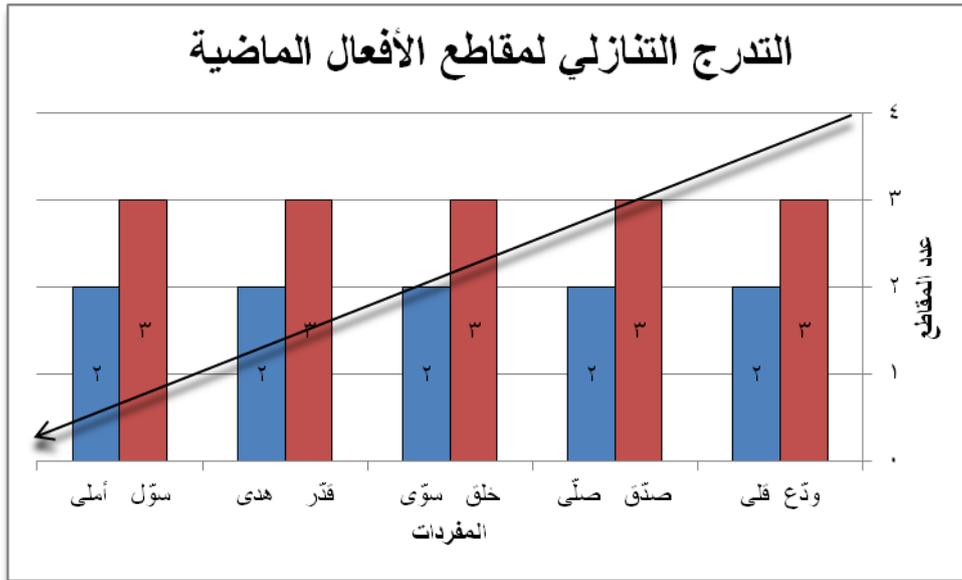
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ (الأعلى: ٣-٤) وقوله : ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ٢٥) .

١ النبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٦٨

٢ الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) - عبد الرحمن بن محمد - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت : ٥ /

٥٢٥ ، وينظر : تفسير القرطبي : ١٩ / ١١٣

٣ قال تعالى : ﴿حُدِّمِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)



الشكل رقم (٩)

ولا يقتصر هذا النوع من التدرج على الأفعال الماضية ، بل نجد لتدرج الأفعال المضارعة حضوراً ملفتاً في آي الذكر الحكيم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٧٤) الذي يخاطب به بني إسرائيل واصفاً قلوبهم بأنها أشد قسوة من الحجارة ؛ لأن الحجارة في شتى صور قساوتها تكون أنفع من قلوبكم ، فأشدها صلابة ذاك الذي (يتفجر) منه الأنهار ؛ أي : ينزل منه خارجاً عن منبعه ، والتفجير هو الانفتاح بسعة ، أما أوسطها صلابة فذاك الذي (يشقق) أي: يتصدع فيخرج منه الماء ؛ أي: يقطر في شكل عيون لا أنهار جارية لأنه لا يشبه الأول ، وأما أقلها صلابة فذاك الذي لا يصمد أمام عظمة الله وتجلياته (يهبط) من خشية الله ورهبة من آياته كالصواعق والزلازل^(١) .

يلاحظ أن سياق الآية انتقل في تصوير صلابة الحجارة من أقسامها إلى ألينها ، ومع هذا التدرج التنازلي تدرج عدد مقاطع الأفعال المضارعة تنازلياً ، فكانت (يتفجر) مؤلفة من خمسة مقاطع :

اي . ات . ف . ج . ج . ار . ء

ثم جاء الفعل التالي خالياً من التاء ، فقال : (يشقق) ولم يقل (يتشقق) ؛ لأن المقام يتطلب التدرج التنازلي ، ولو جاء بـ (يتشقق) لكانت مثل (يتفجر) في عدد المقاطع ، ولكن لما سكنت

١ ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٣٠٨ ، وتفسير كنز الدقائق - محمد المشهدي القمي - تح : مجتبي العراقي -

مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤٠٧ هـ : ١ / ٢٧٩

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

تاء الافتعال قلبت إلى الشين للمماثلة ثم أدغمت بشين الفعل فاصبحت (يشقق) ليختزل عدد مقاطعها إلى أربعة : /ي . ش / ش . ق / ق . ق / ق . ق /

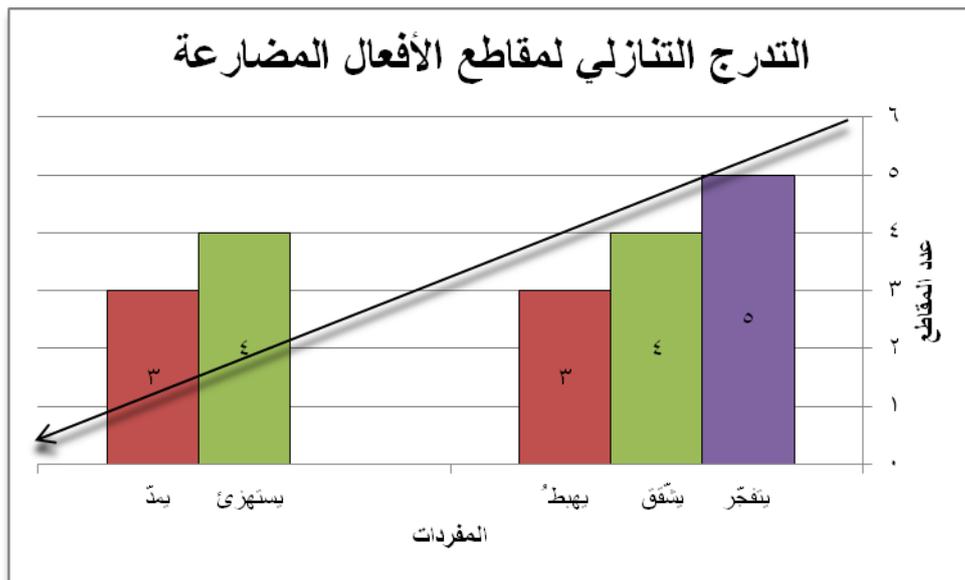
ثم انتقل إلى الفعل المضارع الثالث (يهبط) المؤلف من ثلاثة مقاطع :

/ي . هـ / ب . ط /

ليكون التدرج التنازلي لأعداد المقاطع الصوتية متساوياً تماماً مع الدلالة السياقية للآية الكريمة ومقتضى حال الخطاب .

ومثل هذا يرد في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٥) ففعل الاستهزاء تقدم على فعل المد لاتساع رقعته واختصاصه بالله تعالى بخلاف المد الذي لا يتعدى تهيئة الأسباب لتنامي طغيانهم والتوغل في ضلالهم ، لذا كان الفعل المضارع (يستهزئ) مؤلفاً من أربعة مقاطع : /ي . س / ت . هـ / ز . ء /

ثم تدرج نزولاً إلى الفعل المضارع (يمد) المؤلف من ثلاثة مقاطع : /ي . م / د . د /



الشكل رقم (١٠)

المبحث الثاني

المقابلة بعدد المقاطع

تتحقق المقابلة بعدد المقاطع من خلال وجود المقابلة الدلالية في سياق النص القرآني ، والمقابلة الدلالية تظهر عن طريق مقابلة اسم ما باسم يخالفه في الدلالة ، أو عن طريق مقابلة دلالة الأفعال المتضادة بعضها ببعض ، فمن المقابلة بين دلالاتي الكثرة والقلة نجد قوله تعالى:

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴾ (النساء: ٨٥) ، فقد قيل في الكفل: هو الحظ أو النصيب نفسه^(١) ، فيما ذهب

الراغب الأصفهاني إلى أن ((الكفل ههنا ليس بمعنى الأول بل هو مستعار من الكفل وهو الشيء

الرديء واشتقاقه من الكفل ، وهو أن الكفل لما كان مركباً ينبو براكبه صار متعارفاً في كل شدة

... ومعنى الآية من ينضم إلى غيره معيناً له في فعلة حسنة يكون له منها نصيب ، ومن ينضم إلى

غيره معينا له في فعلة سيئة يناله منها شدة^(٢) وقيل: هو المثل^(٣) وهو الأرحح ؛ لكون سياق

المقابلة بين العمل الحسن والعمل السيئ يقتضى أن تكون هناك مغايرة في الجزاء ، ولو كان

المعنى واحداً لتكررت كلمة نصيب في شقي الآية ، ولكن مجيء كلمة (كفل) بلفظ مغاير لكلمة

(نصيب) يوجب وجود المغايرة الدلالية ، وبالعودة إلى البنية المقطعية للكلمتين نجد أنها اتجهت

باتجاه تأكيد تلك المغايرة ، فكلمة (نصيب) مؤلفة من ثلاثة مقاطع : /ن . /ص . /ب . /ن /

في حين كانت كلمة (كفل) مؤلفة من مقطعين طويلين مغلقين : /ك . /ف . /ل . /ن /

وفي هذا التفاوت بين عدد مقاطع الكلمتين ما يشعر صوتياً بمعنى الضعف والزيادة في مقابل

معنى المثل .

ومن المقابلة الدلالية بين معاني الصغر والكبر نجد قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ

بَيْنَكَ ذَٰلِكَ ۗ ﴾ (البقرة: ٦٨) فالفارض من قولهم : ((فرضت تفرض فراضة : إذا أسنت ... وقيل:

إن الفارض : التي قد ولدت بطونا كثيرة ، فيتسع لذلك جوفها ؛ لأن معنى الفارض في اللغة

١ ينظر : تفسير الطبري : ٥ / ٢٥٣

٢ المفردات في غريب القرآن : ٥١٧

٣ ينظر : الآصفي في تفسير القرآن (تفسير الآصفي) - الفيض الكاشاني - تح : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - مركز

الإعلام الإسلامي - قم - ١٤١٨ هـ : ١ / ٢٢٦

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

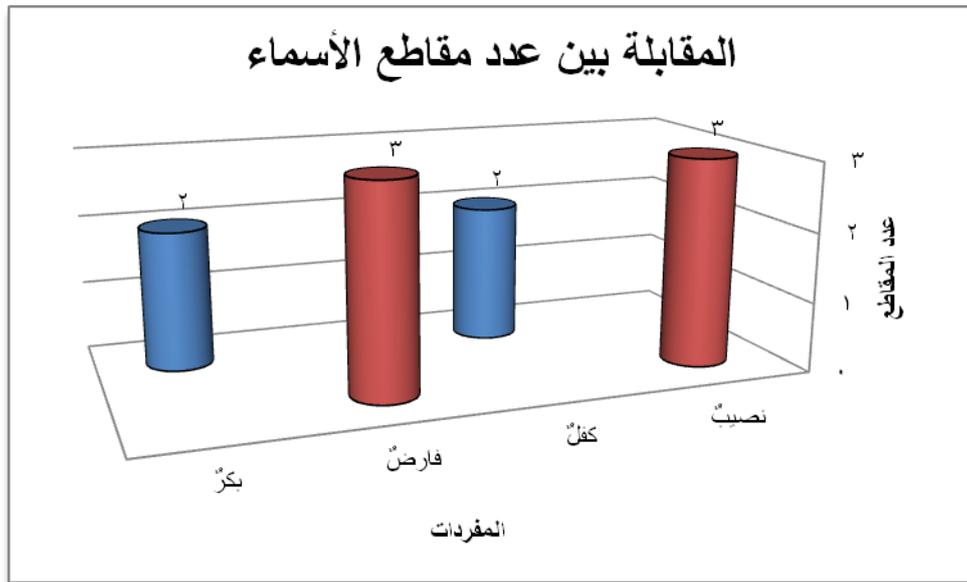
الواسع^(١) ، وأما البكر فهي الفتية التي لم تلد بعد^(٢) ، ومع دلالتها الكبرى والصغرى التي تشير لهما الآية نجد أن عدد مقاطع كلمة (فارض) كان ثلاثة :

/ ف . ا . ر . ا . ض . ن /

بإزاء عدد مقاطع كلمة (بكر) المؤلفة من مقطعين طويلين مغلقين :

/ ب . ك . ا . ر . ن /

وبهذا تشترك البنية المقطعية لكل من الكلمتين في إبراز صورة المقابلة بين دلالتها الكبرى والصغرى.



الشكل رقم (١١)

وقد تجتمع كل من المقابلتين الأنفتي الذكر في قوله تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ۗ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن : ٥-٦) ، فلما كان وجه المقابلة في الآية الأولى هو الحساب تقدمت الشمس التي لا يعرف بها إلا احتساب ساعات النهار من اليوم ، فيما تأخر القمر الذي تختلف منازلها من وقت إلى آخر فيعرف بها عدد الأيام من الشهر ومواقيت الشهور من السنة ، لذا كان وجه المقابلة محصوراً بين قلة الحساب وكثرته .

ثم جاءت المقابلة في الآية التالية متساوقة مع الأولى إذ انحصرت بين دلالة الصغر التي تؤديها كلمة (النجم) ومعناها : كل ما لا يقوم على ساق من النبات ، ودلالة الكبرى التي تؤديها كلمة (الشجر) التي تحمل المعنى المضاد لكلمة لنجم .

١ التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٢٩٥ ، وينظر : تفسير غريب القرآن الكريم - فخر الدين الطريحي - تح محمد كاظم

الطريحي - مطبعة الزاهدي - قم : ٣٣٧

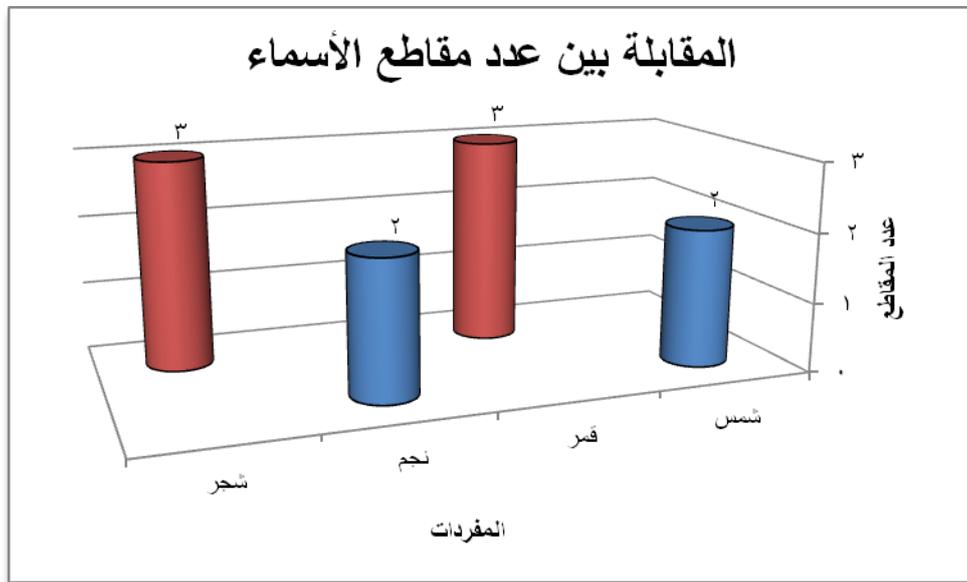
٢ ينظر : كنز الدقائق : ١ / ٢٦٩

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

ولو استعرضنا البناء المقطعي لطرفي المقابلة في الآيتين ، لوجدنا الفرق في عدد المقاطع واضحاً في الدلالة على القلة في مقابل الكثرة والصغر في مقابل الكبر ، كما يتضح من التشكيلات الآتية بعد اطراح (ال) منها جميعاً :

ش . م / س .	فكلمة (شمس) مؤلفة من مقطعين :
اق . م / ر .	تقابلها كلمة (قمر) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :
ان . ج / م .	وكذلك الحال مع كلمة (نجم) المؤلفة مقطعين :
اش . ج / ر .	في مقابل كلمة (شجر) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :



الشكل رقم (١٢)

ومن المقابلة بين دلالتى الضعف والقوة قوله تعالى : ﴿ فَلَئِدْغُ نَادِيَهُ ۖ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴾ (العلق: ١٧ - ١٨) ، فناديه هنا تعني أهل مجلسه وهم عشيرته ، وتفسير النص : فليستنصر بعشيرته في مقابل دعوتنا الملائكة الأشداء الغلاظ الموكلين بجهنم^(١) ومع هذه المقابلة الواضحة التفاوت في مستوى القوى بين الطرفين يبرز التفوق العددي لمقاطع كلمة (الزبانية) المؤلفة من خمسة مقاطع :

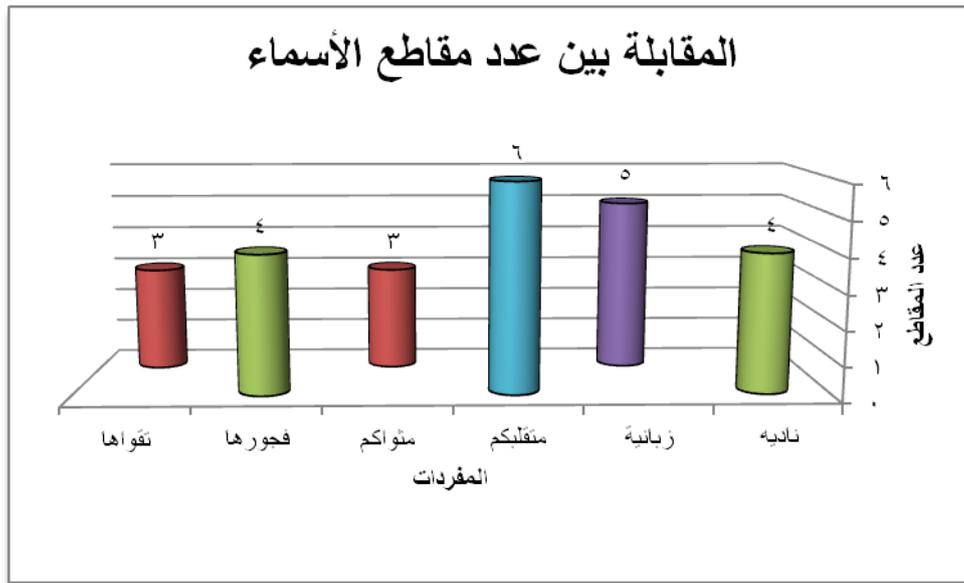
از . ب . ن . ي . ا . ت .	على عدد مقاطع كلمة (ناديه) المؤلفة من أربعة مقاطع :
ان . د . ي . ه .	

١ ينظر : زاد المسير : ٨ / ٢٨١

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

للتصافير البنية المقطعية للكلمتين - صوتياً - مع المقابلة الدلالية التي يرمي النص القرآني إلى تسليط الضوء عليها للاعتبار بها .

وهكذا الحال مع مظاهر المقابلات الأخرى من مثل المقابلة بين دلالاتي الحركة والسكون في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد: ١٩) ، والمقابلة بين دلالاتي الشر والخير في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (الشمس: ٨) .



الشكل رقم (١٣)

ومن مقابلة الأفعال نقف أولاً عند المقابلة بالأفعال الماضية ، ومن مظاهرها المقابلة بين دلالاتي الفوز والخسران نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس: ٩ - ١٠) فالفلاح هو الفوز والظفر وإدراك البغية كما يقول الراغب^(١) ولا يتحقق إلا بتزكية النفس ، أما تدسيتها فلا يفضي إلا إلى الخيبة والخسران ، والمتأمل في النص يجد أن البنية المقطعية لطرفي المقابلة في الآية الكريمة جاءت متساوية في عدد المقاطع ما خلا بنيتي الفعلين (أفلق) و (خاب) ؛ لأن النفس واحدة وصاحبها واحد ، وإنما كانت الغاية من المقابلة هي الاعتبار بالجزاء المشار إليه بالفعلين ، لذا انحصر الخلاف بالفعلين ، فكان عدد مقاطع الفعل الأول ثلاثة :

ء / ف / ل . ح .

فيما كانت عدد مقاطع الفعل المقابل له اثنين :

خ . ب .

١ ينظر المفردات في غريب القرآن : ٣٨٥

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

ليكون في هذا التفاوت المقطعي أثر صوتي في رfd دلالة الفوز في مقابل الاستشعار الصوتي بالنقص العددي في عدد مقاطع الفعل الدال على الخسران .

ومثل هذا يمكن ملاحظته في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (القارعة: ٦ - ٩) فالبنية المقطعية لكلمة (ثقلت) تفوقت في عدد مقاطعها على البنية المقطعية للكلمة المقابلة لها (خفت) ، فكانت الأولى مؤلفة من ثلاثة مقاطع : /ث . ق . ل . ت /

فيما تخلفت عنها الأخرى بمقطع واحد فكانت مؤلفة من مقطعين طويلين مغلقين :
/خ . ف . ت /

ومن المقابلة بين دلالتى الضيق والسعة قوله تعالى : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: ٢٥) وقوله : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ (التوبة: ١١٨) ، فالضيق : مقدار ناقص عن مقدار ، والرحب : السعة في المكان أو الرزق^(١) ، ومع هاتين الدالتين اللغويتين نجد أن البنية المقطعية لهما تضيق وتتسع في عدد مقاطعها إذ كان عدد مقاطع كلمة (ضاقت) اثنين :

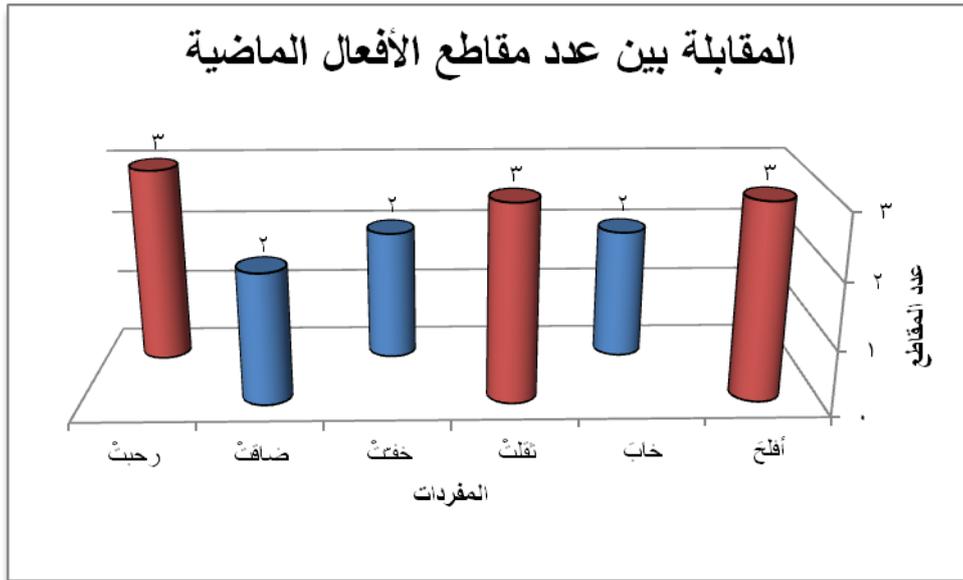
/ض . ق . ت /

فيما كان عدد مقاطع كلمة (رحبت) ثلاثة :

/ر . ح . ب . ت /

وهذا ما يجعل الأداء الصوتي لكلا الكلمتين متفاوتاً ، فمرة نجده مقيداً عسراً وأخرى نجده طليقاً سهلاً لنستشعر معاً ضيق المكان والحركة في مقابل سعة الأرض ورحابتها .

١ ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٥ / ١٩٨



الشكل رقم (١٤)

وقد تبرز ظاهرة المقابلة بين طول الوقت وقصره في تكرار اللفظة نفسها بصيغة مغايرة كقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٧) ، فمن المعلوم أن سياق الآية الكريمة كان في نفي كل عيب في السد الذي بناه ذو القرنين ليحد من إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض ، فقد كان أبرز ما يمتاز به هو ارتفاعه الشاهق ، وصلابته .

وقد أسهمت صيغتي الفعلين (اسطاع) و(استطاع) في تصوير مقدار الزمن المستغرق في محاولات اجتياز ذلك السد ، وذلك أنه لما كانت مدة صعود السد- الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس- أقصر من نقبه ، اختزل الفعل ، فحذفت التاء ، ثم جيء بالفعل نفسه من دون اختزال للدلالة على طول المدة المستغرقة في النقب^(١) .

ومن وجهة النظر المقطعية ، نرى أن هذه المغايرة بين اللفظتين عبرت بعدد مقاطع الكلمتين عن صورتين للزمن الذي يستغرقه الفعل ، وحين أراد القرآن الكريم أن ينفى تحقق الصورتين جاء بالفعل في صيغتين مختلفتين تقاصرت إحداهما عن الأخرى ليتضح الفرق بين مدتي تحققهما فجاء للزمن القصير بكلمة (اسطاعوا) المؤلفة من ثلاثة مقاطع :

/ س / ط / ع / .

ثم قابلها للدلالة على الزمن الطويل بكلمة (استطاعوا) المؤلفة من صامت وثلاثة مقاطع:

/ س / ت / ط / ع / .

ليكون في وجود المقطع القصير المفتوح / ت / وعدمه دلالة على التفاوت الزمني .

١ ينظر : التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي - دار الكتب للطباعة والنشر - الموصل - ١٩٨٨ م : ٧٢

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

وفي موضع آخر من السورة يعاود القرآن الكريم استعمال المقابلة نفسها ولكن هذه المرة بالفعل المضارع ، إذ يقول تعالى على لسان العبد الصالح أول الأمر : ﴿ سَأُنَبِّتُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٨) ثم يختم لقاءه وموسى بقوله : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٨٢) ، وذلك لأن القول الأول جاء على سبيل مواصلة الحديث ، في حين جاء القول الآخر على سبيل الافتراق ، إذ لم يقل بعده شيئاً .

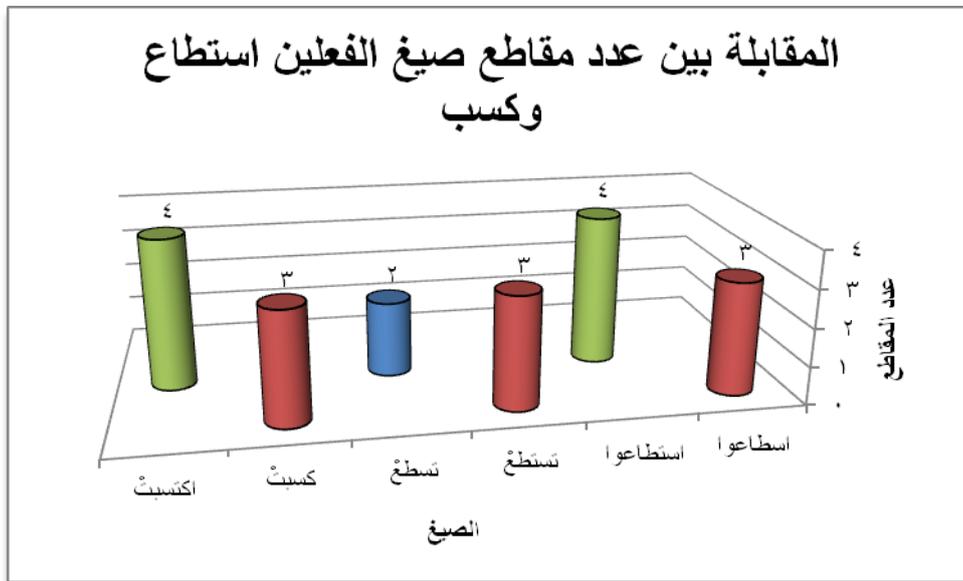
ومن المقابلة بين دلالتى الفطرة والتكلف نلمح قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) ، فقد جعل في الاكتساب زيادة في المبنى ؛ لأن فيه كلفة ؛ وذلك أن الخير موافق للفطرة ، فيكسبه الإنسان لموافقته لفطرته ، وأما الشر فهو مخالف لفطرته ؛ لذلك يحتاج معه إلى أن يعمل نفسه ويخالف فطرته في أن يأتيه ، وإزاء هذه الزيادة النبوية اختلفت البنية المقطعية في عدد مقاطعها ، فكانت كلمة (كسبت) مؤلفة من ثلاثة مقاطع :

/ك . /س . /ب . ت /

فيما كانت عدد مقاطع كلمة (اكتسبت) من أربعة مقاطع :

/ . /ك /ت . /س . /ب . ت /

ليكون في ذلك التفاوت الصوتي دلالة على وجود التكلف في العمل بالقياس إلى صورته الفطرية .



الشكل رقم (١٥)

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

وهناك مقابلات كثر في القرآن الكريم تمت من خلال الأفعال الماضية ، وفيها يبرز تفوق عدد مقاطع طرف على الطرف الآخر انسجاماً مع دلاليتهما ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَنكَرَ ﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم: ٤٣ - ٤٤) وغيره .

من جانب آخر قد تظهر المقابلة من خلال دلالات الأفعال المضارعة ، فمن ذلك نجد المقابلة بين دلالي العجز والقدرة في قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّنَّ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴾ ﴿ بَلَىٰ قَدَرِينَا عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (القيامة: ٣ - ٤) ففكرة العجز عن الجمع في حسابات الإنسان يقابلها الخالق عز وجل بفكرة أدق منها وأعمق في تجسيد قدرته متجاوزاً بذلك حدود فكرتهم في جمع العظام إلى إظهار قدرته على إكسائها بالبنان كما كانت عليه ، وهذا ما يفسر قلة عدد مقاطع الفعل (نجم) المؤلف من ثلاثة مقاطع :

ن . ج / م . ع . /

وتفوق عدد مقاطع الفعل المقابل (نسوي) المؤلف من أربعة مقاطع :

ن . س . و / و . ي . /

وهكذا الحال مع المقابلة بين دلالي الاقتراب والابتعاد في قوله تعالى : ﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾ ﴿ وَيُنَجِّنِيهَا الْأَشْفَى ﴾ (الأعلى: ١٠ - ١١) أي : سيعتظ ويُقبل على الله من يخشاه ويخاف عقابه وسيتباعد عن الموعظة من لا يخشاه ؛ لأن ((تجنب الشيء التباعد عنه))^(١) ، وبالعودة إلى البنية المقطعية للفعالين نجد أن الفعل (يتذكر) / ي . ت . ذ . ك / ك . ر . / المؤلف من خمسة مقاطع اختزلت عدد مقاطعه في هذا الموضع بالمماثلة الصوتية بين التاء والذال ، على الرغم من ورود الفعل (يتذكر) سبع مرات في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، ولكن الاختزال هنا جاء للمقابلة بالفعل (يتجنب) ، فمع دلالة الفعل (يتذكر) على الاقتراب اختزلت بنية الفعل إلى (يتذكر) ليكون عدد مقاطعها أربعة :

ي . ذ / ذ . ك / ك . ر . /

ولتقاصر بمقطع واحد عن البنية المقطعية للفعل (يتجنب) الدال على الابتعاد والمؤلف من خمسة مقاطع :

ي . ت . ج . ن / ن . ب . /

ولو بقي الفعل (يتذكر) على حاله لظهر في مستوى صوتي واحد مع الفعل (يتجنب) وليس في هذه المساواة ما يدعم دلالة المقابلة بين الفعلين .

ومن المقابلة بين دلالي القلة والكثرة نجد قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (البقرة: ٣٣) وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُ بِهِ فَنَبِّدُوهُ ﴾

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تُمْنًا قَلِيلًا فَيَنْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ (آل عمران: ١٨٧) ، فمن حيث كان الخطاب في الآية الأولى خبرياً كان الفعل (تبدون) المؤلف من ثلاثة مقاطع :

ت / ب / د / ن .

أقل في عدد مقاطعه من (تكتمون) المؤلف من أربعة مقاطع:

ت / ك / م / ن .

لأن الآية تخاطب السلوك الطبيعي للإنسان في إبداء القليل من أمره وكتمان الكثير ، لتؤكد أن كلا الأمرين سيان في علم الله تعالى .

في حين كان الخطاب في الآية الأخرى إنشائياً ، فمن حيث أراد الله تعالى لهم أن يظهروا الكثير مما عندهم من أمر الرسول (ﷺ) جاء بقوله : (تبينه) المؤلف من ستة مقاطع :

ت / ب / ي / ي / ن / ن .

ومن حيث أراد نهيهم عن أن يخفوا حتى القليل من أمره (ﷺ) ، جاء بقوله (تكتمونه) المؤلف من خمسة مقاطع :

ت / ك / م / ن .

وبهذا كانت المقابلة بعدد المقاطع تتجه باتجاه الزيادة أو النقصان بناء على ما يقتضيه سياق النص القرآني ، على الرغم من أن طرفي المقابلة كانا محصورين بين محوري السر والعلن .

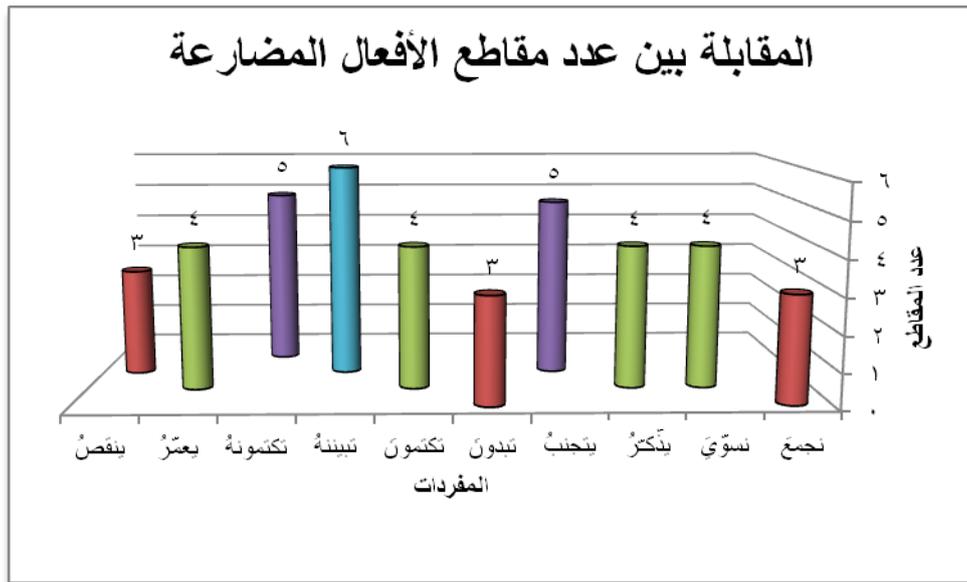
ومن المقابلة بين دلالتى الطول والقصر نجد قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِنْفٍ ﴾ (فاطر: ١١) إذ نلمح بجلاء أثر اختلاف البنية المقطعية للفعلين (يعمر) و (ينقص) فقد تألفت البنية المقطعية من المقاطع الآتية:

ي / ع / م / م / ر . / ي / ن / ق / ص .

وفي تأمل البنية نجد أن هناك تفوقاً ملحوظاً في عدد مقاطع لفظة (يعمر) بمقدار مقطع واحد وفي هذا ما يشير صوتياً إلى دلالة الزيادة ومعنى الطول في الفعل (يعمر) بإزاء ما تشير إليه قلة المقاطع في لفظة (ينقص) من دلالة القصر في العمر .

د. دريد الشاروط

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم



الشكل رقم (١٦)

وهناك مقابلات سياقية لا تتوقف عند حدود الكلمة الواحدة بما يقابلها ، بل تتعدى ذلك إلى المقابلة بأكثر من طرفين فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿ (النساء: ١٣ - ١٤) الذي يمكن رصد المقابلات فيه بالنظر إلى قوله: (يطع الله) في مقابل (يعص الله) ، وقوله: (جنات) في مقابل (ناراً) ، إذ نجد أن هناك تحولاً في تشكيل مقاطع العبارة الأولى أنتجه التقاء الفعل المجزوم (يطع) بلفظ الجلالة ، إذ أدى التقاء الساكنين في اللفظتين إلى انفصال القاعدة الأخيرة من المقطع الطويل المغلق : /ط . ع / و اشتراكها مع الصامت الأول من البنية المقطعية للفظ الجلالة لتكوين المقطع الطويل المغلق /ع . ل / ، كما هو مبين في الشكل الآتي :

$$/ي . ط . ع / + /ل . ل . هـ / \leftarrow /ي . ط . ع / . ل . ل . هـ /$$

في حين لا نجد مثل هذا التحول في التقاء الفعل المجزوم (يعص) مع لفظ الجلالة لأن المقطع الأخير منه كان قصيراً مفتوحاً ولم يكن مغلقاً فيحصل التقاء في الساكنين ، كما يتبين من الشكل الآتي :

$$/ي . ع . ص / . ل . ل . هـ /$$

لقد كان من نتائج التحول في تشكيل مقاطع عبارة (يطع الله) أنها أصبحت مؤلفة من خمسة مقاطع ، في مقابل أن البنية المقطعية لعبارة (يعص الله) بقيت مؤلفة من أربعة مقاطع ، وفي هذا

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

ما يؤكد أن في طاعة الله مشقة غير موجودة في معصيته ، لأن طاعته تعني الالتزام بمجاهدة شهوات النفس واحترام حدود الله ، في حين يمكن تحقق المعصية لمجرد ترك النفس لهواها ، لذا ترتب على ذلك أن يكون أجر المشقة تلك (جنات) ، تألفت بنيتها من ثلاثة مقاطع هي :

$$/ج . ن / ن . ن / ت . ن /$$

للتفوق في عدد مقاطعها على بنية (ناراً) التي كانت جزاء العاصين ، فجاءت مؤلفة من مقطعين هما :

$$/ن . ر . ن /$$

ليبقى المؤمن يشعر في خضم هذا التباين الصوتي أن له الدرجات العلى على من كانت النار مثواه ومن المقابلة السياقية أيضاً يرد قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦) ، إذ يتبين من عدد مقاطع لفظة (دينكم) المؤلفة من ثلاثة مقاطع هي : $/د . ن / ن . ك . م /$ تنوع المعتقدات الباطلة التي يؤمن بها أولئك الكافرون ، وكثرة الآلهة التي يعبدونها من دون الله غير أن الناظر في الطرف المقابل يجد مقطعاً واحداً هو : $/د . ن /$ الذي تشكل عبر المراحل الصوتية الآتية :

$$/د . ن / = \text{البنية المقطعية لكلمة (ديني)}$$

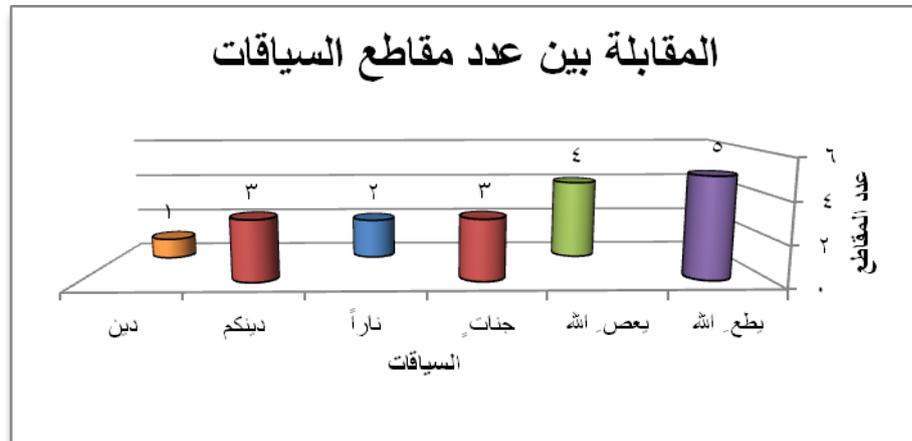
$$/د . ن / = \text{باختزال المصوت الطويل إلى قصير تصبح (دين)}$$

$$/د . ن / = \text{بحذف المصوت القصير لوجوب الوقف على (دين)}$$

بانضمام القاعدة الأخيرة إلى المقطع الأول لامتناع وجود قاعدة من غير قمة تصبح كلمة (دين) برمتها مقطعاً واحداً هو :

$$/د . ن /$$

الذي أكد حضوره تحقق المقابلة الصوتية بعدد المقاطع في الآية الكريمة من خلال دلالة المقاطع الثلاثة على تعدد ديانات الكافرين وما يعبدونه من دون الله ، في مقابل دلالة المقطع الواحد على دين الرسول (ﷺ) الواحد وهو الإسلام .



الشكل رقم (١٧)

المبحث الثالث

المفاضلة بعدد المقاطع

تبرز المفاضلة بعدد المقاطع من خلال السياقات القرآنية التي تتضمن التفضيل بين أمرين سواء بوجود فعل التفضيل صراحة أو ضمناً .

فمن المفاضلة ضمناً نجد قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ (النساء: ٩٥) الذي يمكن ملاحظة التفضيل فيه من خلال تأمل البنية المقطعية لكل من المفضل والمفضل عليه في التشكيلين الآتيين :

م / ج / هـ / د / ن /

ق / ع / د / ن /

فبنية المفضل جاءت مؤلفة من خمسة مقاطع ، فيما جاءت بنية المفضل عليه مؤلفة من أربعة مقاطع زيادة على ذلك نجد البنيتين تكادان تتطابقان في أربعة مقاطع من خلال كميات أصواتها وامتدادات مصواتاتها ، ولا فرق بينهما غير أن البنية الأولى تفوقت على البنية الأخرى بمقطع قصير واحد هو / م / الذي يمكن أن يمثل تلك الدرجة المشار إليها في النص القرآني .

ومن صور المفاضلة الضمنية الأخرى قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (النجم: ٢١) فالله تعالى يخاطبهم على جهة التقريع والتوبيخ إذ كان من عقائدهم أن ((صاحب البنين أعلى كلمة من صاحب البنات))^(١) فيقول لهم: ((أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد وتكرهون لها الأنثى وتجعلون له الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم))^(٢) فتسمون الملائكة بنات الله ، وكذلك الأصنام؟^(٣) .

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن خطاب التقريع جاء على وفق منطقهم في تفضيل الذكر وتقديمه لعلو منزلته وتأخير الأنثى لانخفاض منزلتها عنه ، ومع هذه المفاضلة بين الطرفين تبرز

المفاضلة المقطعية في بنيتيهما من خلال تفوق عدد مقاطع كلمة (ذكر) : ذ / ك / ر /

ء / ن / ث /

على عدد مقاطع كلمة (أنثى) :

ليكون في ذلك التفوق أثر صوتي واضح في رfd الدلالة السياقية للنص .

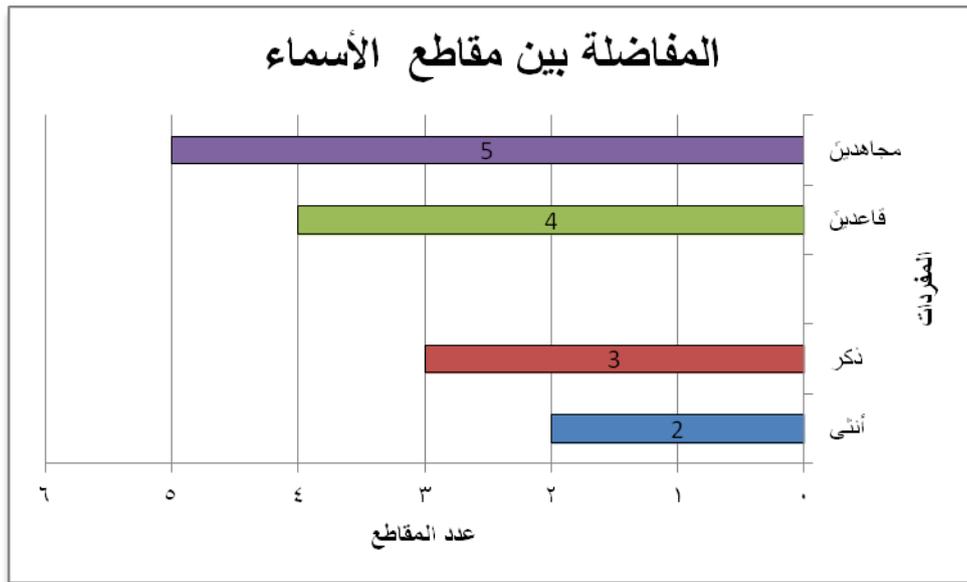
١ التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ٤١٦

2 تفسير الطبري : ٢٧ / ٧٧

٣ تفسير القرطبي : ١٧ / ١٠٢

د. دريد الشاروط

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم



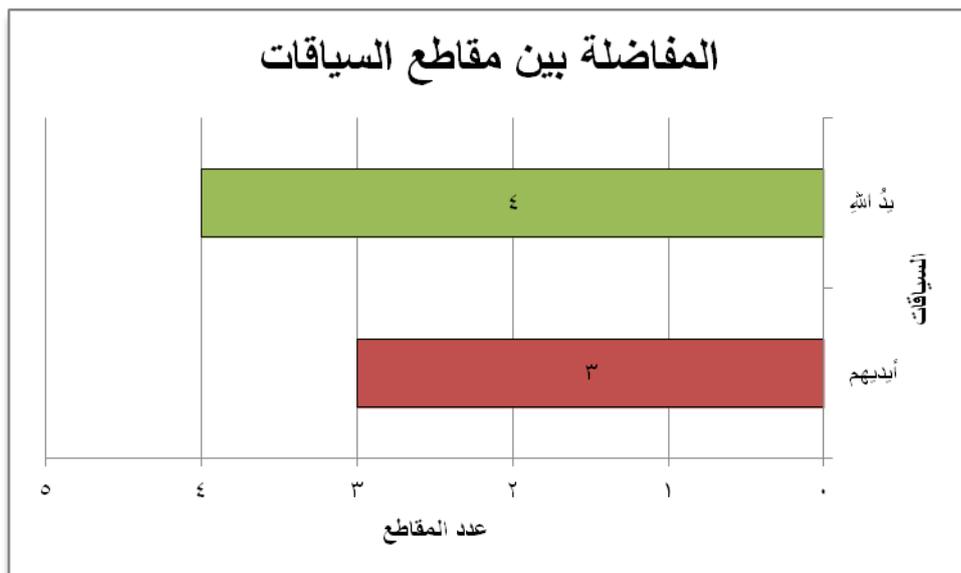
الشكل رقم (١٨)

ومن المفاضلة الضمنية بين سياقات النص نجد قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠) الذي يراد به ((أنه أقوى منهم وأنه مقتدر عليهم))^(١) ، ولو استعرضنا البنية المقطعية لسياق طرفي الآية لوجدنا أن البنية المقطعية للمفضل وهو قوله: (يد الله) كانت مؤلفة من أربعة مقاطع :

اي . د . ل / ل . ل . هـ . /

وهي بهذا العدد تفوقت على البنية المقطعية للمفضل عليه وهو قوله (أيديهم) التي تألفت من

ثلاثة مقاطع :
ء . ي . د . / هـ . م . /



١ التبيان في تفسير القرآن : ٤ / ٩٢

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

الشكل رقم (١٩)

أما المفاضلة بفعل التفضيل صراحة فتظهر في مثل قوله تعالى : ﴿وَأَلْفَسْنَا أَكْبَرَ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧) الذي يظهر فيه تفوق البنية المقطعية للمفضل على البنية المقطعية للمفضل عليه انسجاماً مع المفاضلة المشار إليها في النص ، فكلمة (فتنة) مؤلفة من ثلاثة مقاطع :

/ ف . ت / ن . ت / ء .

وهي أكبر في عدد مقاطعها من البنية المقطعية لكلمة (قتل) المؤلفة من مقطعين :

/ ق . ت / ل . ء /

وفي الغالب نجد أسلوب التفضيل في القرآن الكريم يعتمد وجود فعل التفضيل (خير) كما في قوله تعالى : ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (الضحى: ٤) في المفاضلة بين علو مرتبة الآخرة وخلود نعيمها والحياة الدنيا وزوال متاعها وقصر أمدها ، ويمكن تلمس تلك المفاضلة صوتياً من خلال تحليل البنيتين المقطعيتين للكلمتين ، ف (الآخرة) مؤلفة من أربعة مقاطع :

/ ء . ء . خ . ء . ر . ت / ء .

في حين كانت (الأولى) مؤلفة من مقطعين اثنين :

/ ء . ل . ء /

فالفرق العددي واضح وجلي بين البنيتين ، وهو منسجم تماماً مع الفارق العظيم بين نعيم الآخرة ومتاع الأولى .

ويرد فعل التفضيل خير كذلك في قوله تعالى : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ (المؤمنون: ٧٢) فعلى الرغم من أن معظم المفسرين^(١) ذهبوا إلى أن (خرج) و(خراج) واحد وهو الأجر ، إلا أن سياق الآية يقتضي تفضيل أجر الله على أجرهم ، لذا لم تتحد البنيتان في لفظ واحد بل خالف النص القرآني بينهما ليظهر تفوق المفضل على المفضل عليه ، وهذا ما يظهر من خلال تحليل البنيتين المقطعيتين ، إذ تألفت كلمة (خرجاً) من مقطعين طويلين مغلقين :

/ خ . ر . ج . ن /

في حين كانت كلمة (خراج) أكبر منها عدداً ، إذ تألفت من ثلاثة مقاطع :

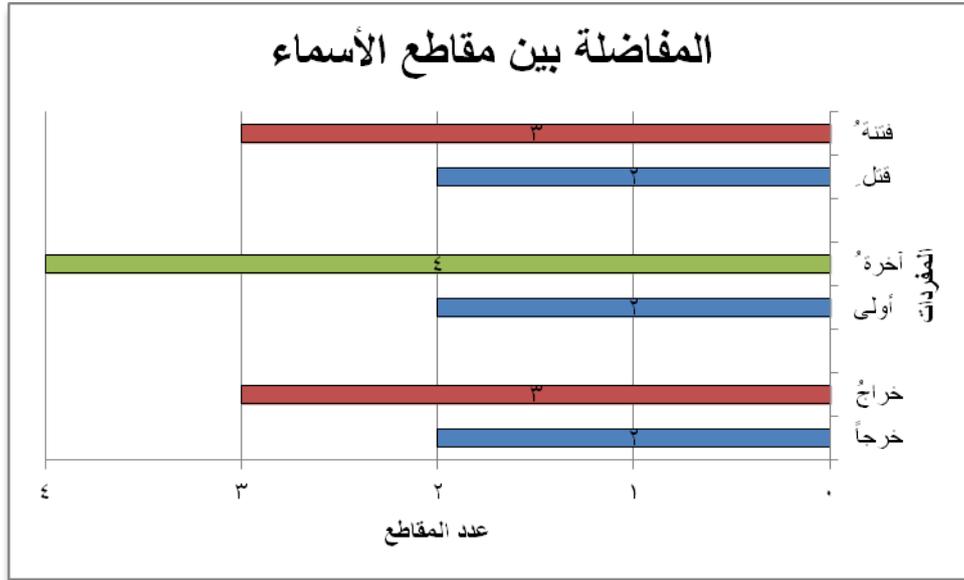
/ خ . ء . ر . ج . ء /

١ ينظر على سبيل المثال : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤١ و تفسير الميزان : ١٥ / ٤٨

د. دريد الشاروط

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

وعليه لا ينبغي أن يكون معنى خرج وخراج واحداً إذ لا بد من وجود زيادة في معنى خراج على معنى خرج .



الشكل رقم (٢٠)

ومن المفاضلة بين سياقات النص نستمتع إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَكَ لَمَقَّتْ لَهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (غافر: ١٠) فالمقت : العداوة والبغضاء ، ومعنى النص أن الكفار عندما باشرهم عذاب الله تعالى مقتوا أنفسهم وأبغضوها بسبب أعمالهم ، فنادتهم الملائكة بأن مقت الله لكم في الدنيا حين عرض عليكم الإيمان فكفرتهم كان أكبر من مقتكم لأنفسكم اليوم^(١) .

وبالعودة إلى البنية المقطعية لطرفي المفاضلة السياقية نجد أن عدد مقاطع قوله (مقت الله) كان أربعة :

م . ق / ت / ل / ل . هـ /

وهو أكبر من عدد مقاطع قوله (مقتكم) المؤلف من ثلاثة مقاطع :

م . ق / ت / ل . ك . م /

وبهذا تساوقت البنية المقطعية صوتياً مع السياق الدلالي للنص القرآني في مسألة تفضيل الطرف الأول على الآخر .

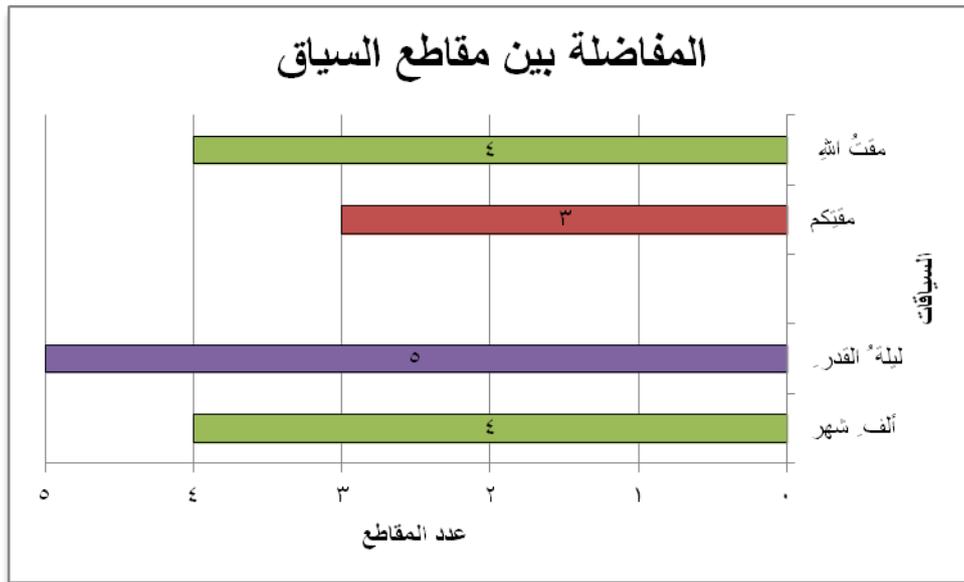
ومثل ذلك يمكن أن نلاحظه بوضوح في قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر: ٣) فهذا التفضيل المحصور بكلمة (خير) يمكن أن نتلمسه فعلاً في مقابلة عدد مقاطع صدر الآية بعدده في عجزها ، في التشكيل الآتي :

١ ينظر : تفسير ابن كثير : ٤ / ٧٩

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

ل . ي / ل . ت / ل / ق . د / ر . ا / ← ا . ل / ف . ا / ش . ه . ر . ن /
(وفي حال الوقف على كلمة شهر)
ا . ل / ف . ا / ش . ه . ر /

فاللافت أن البنية المقطعية لقوله (ألف شهر) لم تبلغ في عدد مقاطعها مقاطع بنية (ليلة القدر) سواء في حال الوقف على كلمة (شهر) أو الدرج ، وفي هذا ما يوحي بأن الخالق (ﷻ) أراد أن يشعر المؤمن بفضل هذه الليلة حتى في أثناء سماعه لعدد الأصوات المؤلفة لبنيتها في مقابل سماعه لأصوات البنية الأخرى والله في كل ذلك أدري وأعلم .



الشكل رقم (٢١)

وهكذا نصل إلى أن أعداد المقاطع الصوتية في القرآن الكريم كان لها الأثر البالغ في تشكيل ظواهره اللغوية ورغد دلالاتها السياقية المختلفة ، وهي بهذا التنظيم الدقيق لتؤكد أن الصياغة القرآنية جاءت بأرفع مستويات البناء اللغوي وأكثرها دقة ، وتدلل على أنها لا يمكن أن تتاح لمقدرة البشر ، وأن صانعها هو من أتقن كل شيء خلقه ، تبارك اسمه وجلت صفاته ، نستغفره إن نسينا أو أخطأنا ... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

نقف بعد جولتنا المباركة في رحاب القرآن الكريم لنحط الرحال ونوجز المقال عن دراستنا للإعجاز العددي في مقاطع القرآن الكريم التي انتهت إلى أن للمقاطع الصوتية دوراً كبيراً في تشكيل الظواهر اللغوية لآيات القرآن الكريم ، وهي لا تختلف عن غيرها في الأهمية بالنسبة إلى

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

د. دريد الشاروط

درس الإعجاز العددي ، فقد لاحظنا من خلال التحليل المقطعي للألفاظ والسياقات المختلفة للقرآن الكريم أنها صيغت بشكل دقيق ومتساق مع دلالات النص ، فمتى كان النص يرتقي بدلالاته من معنى إلى معنى أكبر أو أعلى أو أقوى كانت البنية المقطعية تتدرج بالاتساع وتزيد في أعداد مقاطعها لتعطي للصوت مساحته الكافية في تشكيل الصورة ، وعلى العكس من ذلك رأينا المساحة الصوتية تضيق شيئاً فشيئاً في السياقات التي تنحدر فيها الدلالات بمعانيها ، مما يجعل أعداد المقاطع تقل بالاختزال أو الحذف لترافق تلك المعاني في بناء الصور .

إلى جانب ذلك كانت أعداد المقاطع تتضافر مع السياقات المتقابلة لتزداد في الطرف الأكبر أو الأبعد أو الأثقل ، وتقلص أعدادها في الطرف المقابل الذي تناقض دلالاته دلالة الطرف الأول ولم يختلف الأمر في سياقات المفاضلة التي كانت فيها أعداد المقاطع تزداد في تشكيل البنية المقطعية للمفضل ، فيما تقل وتنحسر تلك الأعداد في تشكيل البنية المقطعية للمفضل عليه .

وربما كانت لبعض الظواهر الصوتية كالمماثلة والإدغام والوقف أثرها في اختزال عدد المقاطع لتعزيز تلك الظواهر اللغوية صوتياً .

ويمكن تلخيص النتائج المتحققة من هذه الدراسة بالنقاط الآتية :

- ١ - أنها كشفت عن وجود ميدان جديد لدراسة الإعجاز العددي في القرآن الكريم .
- ٢ - أنها أظهرت دقة الصياغة القرآنية في انتقاء الألفاظ والعبارات التي تتألف من مقاطع متناغمة في أعدادها مع دلالة النص الذي وجدت فيه .
- ٣ - أنها سلطت الضوء على أن الإعجاز العددي في مقاطع القرآن الكريم لا ينتظم في شكل واحد بل يتجه باتجاه طبيعة النص ، ويختلف باختلاف الظاهرة اللغوية .
- ٤ - أنها كشفت عن أهمية بعض الظواهر الصوتية ودورها في تطويع الألفاظ لتغيير مبانيها بغية اختزال أعداد مقاطعها لتكون منسجمة في تلك الأعداد مع الإطار العام للنص .
- ٥ - أنها توصلت إلى أن التفاوتات العددية الدقيقة في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم لم تفرضها المصادفة المحضة أو طبيعة اللغة وأنظمتها البنائية والتركيبية ، بل هناك قدرة خارقة معجزة وراء صياغتها حسابياً وإحكام أعدادها بشكل متقن لا ينبغي لبشر أن يأتي بمثله .

التوصيات

- ١ - يوصي الباحث بالاهتمام بالدرس المقطعي في الدراسة الجامعية وإعطائه حقه في تطوير ملامح الدرس القرآني .

د. دريد الشاروط الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم

٢ - يوصي الباحث المهتمين بدراسة الإعجاز القرآني باعتماد هذه الدراسة المتواضعة أساساً في الكشف عن ظواهر أخرى في القرآن الكريم ودراستها مقطعيًا لإبراز مواطن جديدة للإعجاز العددي .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. الأصفى في تفسير القرآن (تفسير الأصفى) - الفيض الكاشاني (المولى محمد محسن ١٠٩١هـ) - تح: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - مركز الإعلام الإسلامي - قم - ١٤١٨ هـ .
٣. أحكام القرآن - الجصاص (أبو بكر الرازي أحمد بن علي ٣٧٠هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ .
٤. أسباب نزول الآيات - النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد الواحد ٤٦٨هـ) - مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٣٨٨ هـ .
٥. بنية المقطع في القرآن الكريم - دراسة صوتية دلالية - أطروحة دكتوراه مخطوطة - د. دريد عبد الجليل الشاروط - كلية الآداب - جامعة القادسية - ٢٠٠٧ م .
٦. التبيان في تفسير القرآن - الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسين ٤٦٠هـ) - تح: أحمد العاملي - المطبعة العلمية - النجف - ١٩٦٣ م .
٧. التعبير القرآني - د. فاضل السامرائي - دار الكتب للطباعة والنشر - الموصل - ١٩٨٨ م
٨. تفسير غريب القرآن الكريم - فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ) - تح محمد كاظم الطريحي - مطبعة الزاهدي - قم - د. ت .
٩. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) - ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل ٧٧٤هـ) - دار المعرفة - بيروت - ١٤١٢ هـ .
١٠. تفسير كنز الدقائق - محمد المشهدي القمي (١١٢٥هـ) - تح: مجتبي العراقي - مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤٠٧ هـ .
١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) - الطبري (محمد بن جرير ٣١٠هـ) - تح: د. مصطفى مسلم محمد - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ .
١٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ٦٧١هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ .

الإعجاز العددي في المقاطع الصوتية للقرآن الكريم
د. دريد الشاروط

١٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) - الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد مخلوف ٨٧٥هـ) - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - د. ت.
١٤. دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر - جامعة الكويت - ١٩٧٦ م .
١٥. زاد المسير في علم التفسير - الجوزي (أبو الفرج جمال الدين بن محمد ٥٩٧هـ) - تح محمد بن عبد الرحمن عبد الله - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٧ هـ .
١٦. زبدة البيان في أحكام القرآن - المحقق الأردبيلي (أحمد بن محمد ٩٩٣هـ) - تح : محمد باقر اليهودي - المكتبة المرتضوية - إيران - د. ت.
١٧. صحيح مسلم - مسلم (أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري ٢٦١هـ) - بشرح النووي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٧ م .
١٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - الشوكاني (محمد بن علي اليماني ١٢٥٠هـ) - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ١٣٥٠ هـ .
١٩. القرآن وإعجازه العلمي - محمد إسماعيل إبراهيم - دار الفكر العربي - بيروت .
٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ٥٤٨هـ) - تح : لجنة من العلماء والمحققين - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤١٥ هـ .
٢١. مسند أبي داود - أبو داود (سليمان بن داود بن الجارود ٢٠٤هـ) - دار الحديث - بيروت .
٢٢. معجم القراءات القرآنية - د. عبد العال سالم مكرم - د. أحمد مختار عمر - مطبوعات جامعة الكويت - ط ٢ - ١٩٨٨ م .
٢٣. المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ٥٠٢هـ) - تح : محمد سيد كيلاني - مطبعة البابي الحلبي - ١٩٦١ هـ .
٢٤. مناهج البحث في اللغة - د. تمام حسان - دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٧٤ م .
٢٥. الميزان في تفسير القرآن (تفسير الميزان) - محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ) - مؤسسة النشر الإسلامي - قم - د. ت .